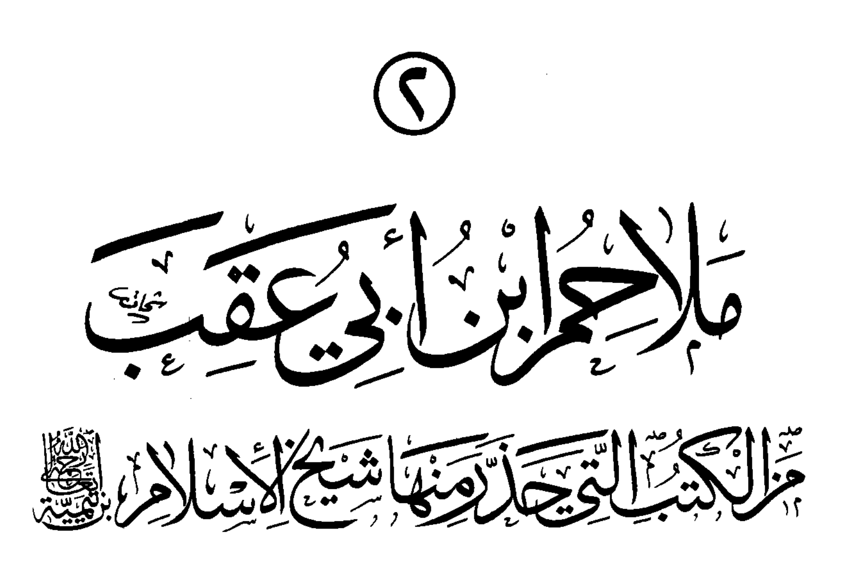
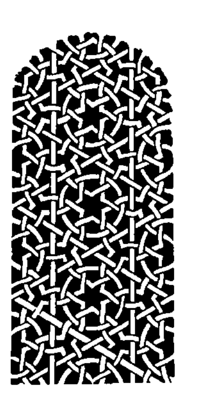


بقلم

أبو الفضل القونوي

محمد بن عبد الله أحمد

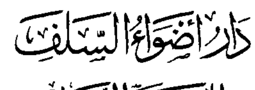
أضواء السلف




من الكتب التي حذر منها شيخ الإسلام



١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م







الرياض - الربوة - الدائري الشرقي - مخرج ١٥ ص ب ١٢١٨٩٢
الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ جوال ٠٥٠٥٢٨٠٣٢٨



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، مُقدّر الأقدار و﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ ﴾[1] والصلاة والسلام على نبينا الكريم ، رسول الرحمة والملحمة[2] وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فإن من خواص النفوس البشرية التشوّق إلى معرفة الأمور المغيبة عنها ، ومصائرها التي تؤول إليها ، وأكثر تطلعها الحوادث العامة ، كمعرفة مُدَدِ الدول ، والحروب ، والمتبقي من عمر الدنيا[3] ، ولذلك فقد راجت في تاريخنا ـ والأمم قبلنا ـ سوق اصطياد أناس ضَعُفَ تفكيرهم الصحيح ، بعد جهل بالدين، فخدعوا من قبل الكهان ، والمنجمين، وكثير ممن زُعم أنهم من أولياء الله تعالى،وأنهم أُطلعوا

---

(١) سورة الجن: ٢٦ ، ٢٧.

(٢) هو نبي الرحمة ، وهو نبي الملحمة ، أما الأولىٰ فبيّنة ، وأما الأخرى فلحرصه ﷺ على الجهاد الذي بسببه عمّت الرحمة. فالرحمة هي الغاية انظر: الرياض الأنيقة: ٣٦، ١٦٣، ١٦٩، ٢٦٣، وفيض القدير: ٣/ ٤٥.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٢٤٦.

على ذلك في النوم ، أو أخبروا به كفاحاً !! أو زعموا الوقوع على كتب من الوحي السابق للقرآن الكريم !!

وقد ظهرت ملحمة ابن أبي عقب وهذا العامل الاجتماعي قائم ، ولكن في سياق تاريخي خاص، لم ينس مختلقوها أن يخترعوا لها ما تستند إليه.

كان أول وقوف لي على اسم «ابن أبي عقب» في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمة الله عليه ، في شكله المختصر (ابن عقب) في ج ٤/ ٧٩ ، و ج١١/ ٥٥ منه ، ثم في «منهاج السنة النبوية» في ج٧/ ١٧٢ ، ١٨٣، ولم أتنبَّه ، ولا غيري تنبّه ، ممن هم أعلم مني، إلى خطأ الناسخ أو الطابع في «مجموع الفتاوى»، الذي صحَّف اسم «ابن عقب» فيه إلى: (ابن غنضب) ، ولما نقل بعض الدارسين كلام أبي العباس من ذلك الموضع نقلوه كذلك إلى كتبهم ، وحقّ لهم ، فما أعرف معاصراً خَصَّه بالدَّرس إلا مقالة واحدة عنه قصيرة.

ثمَّ كان أن قرأت خبر ملحمة أو ملاحم «ابن أبي عقب» في كتاب ابن السراج الدمشقي[1] ، وفهمتُ ـ بعدُ ـ تعظيم فئة من الصوفية لها

(١) «تشويق الأرواح»، و«تفاح الأرواح» ، أما ابن السراج فهو: القاضي محمد ابن علي بن عبد الرحمٰن بن السرّاج الدمشقيّ الشافعيّ، المتوفى سنة ٧٤٧هـ في حصن الكَخْتا ـ بُليدة جنوب تركية الآن ـ صاحب الرسائل «الشخصية» المتتابعة إلى أبي العباس ابن تيمية، التي حَقَّقتُ ـ بحمد الله تعالى وتوفيقه ـ أن ما نشر بعنوان: «النصيحة الذهبية لابن تيمية» إحدى تلك الرسائل ، وتبيّن لي ـ بعدُ ـ أنَّ «الشيخَ المُشْتكِي» الرفاعيّ (أحد القائمين عليه يوم المناظرة) ، هو هذا القاضي الدمشقي ، صديق طفولته ، ومخالفه وضده عند نهوضه بإصلاحاته ، وأنّ في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ أعني في =

ولأمثالها من الملاحم ، فأحببت درس تاريخ هذه الملحمة ، ومن نُسبتْ إليه.

وقد كتبتُ في بَدْءِ البحث تعريفاً بالملاحم ، وسمَّيتُ مَسلَمة أهل الكتاب، والسبئيين، والكهان، والإخباريين، والزنادقة في الذين أسهموا في بثّ هذه الخرافة، ما بين مختلق لها، وراوٍ، ومصنّف.

وذكرت بعض المؤلفين في الملاحم وكتبهم ، وتحذير العلماء من هذه الكتب ، ونبهت المسلم العاقل من «الملاحم» التي تكتب في هذا العصر بغرض خرافي أيضاً ، لكن متصهين يُبشّر بهيكل يهود ، وسيطرة أقمأ الأمم على الأرض ، ثم عرضت الذين ذكروا ابن أبي عقب ، والرأي فيه وفي ملاحمه.

ولو لم يكن لهذا المبحث إلا إثارة وَمْضَةِ تساؤلٍ محقّ في عقولٍ خَدِرَ تفكيرها بغَوْلِ التصوُّف ، فتلقّت تخرصات الملاحم في تسليم كامل ، وكأنها أدمغة تقاسَمَتْ بالله ألا تكون خرافة في الأرض إلا اعتنقتها و«صوَّفتها» ، لو لم تكن إلا هذه «الومضة» تُثِيب إليها بعض رشدها لتعود صحاحاً ، إن ذلك لغُنْمٌ.

أسأل الله عز وجل النفع بما كتبته ، والعفو والمغفرة عن الزلل إنه هو البرّ الرحيم، وصلى الله على محمد خير خلقه وصفوته، وسلم تسليماً كثيراً.

وكتب محمد بن عبد الله أحمد

[أبو الفضل القُونَوي]

المدينة المنورة في ١٤٢٤/١٢/٢٧ هـ

= المناظرة نفسها ـ نصّاً ـ هو تمام أدلتي ، وقد أعددت دراسة موسعة عن ابن السراج ، فيها فوائد تاريخية من سيرة وجهاد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ علَم المجتهدين والمصلحين.



مدخل

«**الملاحم**» جمعُ مَلْحَمَةٍ ، وهي: الموقعة العظيمة القتل في الحرب ، ومكانُها [وذلك مأخوذٌ من اشتباك الناس ، واختلاطهم فيها كاشتباك لُحْمةِ الثوب بالسَّدَى][1] ، والمعنى الذي يُقصدُ إليه هنا ما اصطُلح ـ بعدُ ـ على تعريفها بأنها: عملٌ قصصيٌ شعريٌ ـ ومنه النّثْريُّ ـ طويلٌ ، نُظِمَ في وصف حربٍ من الحروب ، والإشادة بجيوشها وأبطالها[2] .

الملاحم القديمة :

كانت من قديم الدهر ، منها ما كتب ـ كما قيل ـ في المئة التاسعة قبل الميلاد، مثل التي للإغريق ، أعني: «الإلياذة» و«الأوديسة» المنسوبتين إلى «هوميروس»[3] وأخرىُ تُنسبُ لـ«بطليموس»[4] ، ومنها ما زُعم لها تاريخ أبعد ، كملحمة الهنادك: «المهابهارتا» و«الرامايانا» وقيل إن الـ «أفَاسْتَا» كتاب الفرس ، المكتوب بفارسية قديمة منها أيضاً[5] .

(١) النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ . والسَّدَى: ما مدّ من خيوط النسيج.

(٢) وقد تكون هذه الحروب وأبطالها مما ينتظر وقوعه في مستقبل الزمان.

(٣) ذكر اسمه في مقدمة ابن خلدون: ٤٧٢ .

(٤) معجم البلدان: ٤/ ٤٠٦ ، ٢٢٦ ، وكانت ملحمته من مصادر ياقوت.

(٥) هو لـ «زاردُشت» حكيم المجوس الذي كان الفرس الساسانيون على دينه قبل الفتح الإسلامي ، وانظر كتاب: الإعلام بمناقب الإسلام: ١٥٩ ، =

وما ثمة ما يُحيل أنْ تكون هذه «الأفاستا» وأمثالها كتلك التي جاء ذكرها في المصادر الإسلامية، وسميت أحاديث: «رستم» و«إسفنديار» ووصلت إلى جزيرة العرب، حتى بلغتْ مسامع مشركي قريش من الملاحم أيضاً، ومعلومٌ بنصّ كتاب ربنا عزّ وجل أنه لما بَعثَ رسوله ﷺ تجرّأ كافرٌ من مَرَدَة أهل مكة، فأطلق كلمة: ﴿أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ على كتاب الله تعالى وآياته وكلامه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وهو أصدق الحديث. ويعضد هذا الفهم ويشهد له، ما رواه الإمام الطبري في تفسيره، قال: «حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أشعارهم وكهانتهم»(١).

موقف المسلمين من الملاحم:

لقد عرف صدر هذه الأمة الإسلامية - في يقينٍ - ما أغناهم الله تعالى بالقرآن، وأنه المهيمن على كل الكتب، وسمعوا خير الهدي، هدي نبيهم، صاحب الكمال، فلا مخلوق من بني آدم أكمل منه، سيد الأولين والآخرين: محمد ﷺ، واكتفوا بما صحّ عنه من أخبار الملاحم وعلامات الساعة، وغيرها، فما ألقوا سمعاً لملحمة مصنوعة، وإن هم سمعوا من أهل الكتاب شيئاً، فعندهم قول السراج المنير ﷺ:

= ١٨٠، (لأبي الحسن العامري، ت٣٨١ هـ).

(١) انظر: سورة الأنعام، آية ٢٥، والأنفال، آية ٣١، والفرقان، آية ٥، وقد ورد أن ذلك الشقيَّ هو: النضر بن الحارث، وكان قد تَلَقَّف أحاديث (ملحمة) فارسية لما أتى الحيرة، فشبَّه آيات القرآن الكريم بها، فقال عنها: إنها أساطير الأولين، وإنه لو شاء لقال مثلها، وإن الرسول الصادق الأمين اكتَتَبها، وإنها تملى عليه بكرة وعشياً، انظر: تفسير الطبري: ١٧/ ٤٠٠، ٤٠١، وتهذيب سيرة ابن هشام: ٦٩، وبصائر ذوي التمييز: ١/ ٣٧١.

[إذا حدّثكم أهلُ الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم][1].

وكان من التدبير الراشد للخليفة العبقري الملهَم، أمير المؤمنين عمر، أن سعىٰ لمحو نسخة من كتاب دانيال، وعاقب الذي تحصل عليها[2]، وكأنه وهو الملهم رضي الله عنه[3] ألقي في روعه بعد أن عرف ما يحويه كتاب دانيال ماسيتكذّبه الناس على غرار ما فيها، ثم إنه رضي الله عنه أول من خوطب بقوله ﷺ: [لو كان موسىٰ حياً ما وسعه إلا اتباعي]فقد كان على يقين من غنى المسلمين عنها وعن إرث الأولين.

ثم إن الله عز وجل أخبر في كتابه الكريم أن توراته التي أنزلها وإنجيله قد زُوّرا، وتعاورتهما أيدي الأحبار بالزيادة والنقص، فكيف بغيرهما، ويحتمل أنَّ ظنَّ عدم التحريف في غيرهما الذي أغضب

(١) مسند أحمد: من رواية أبي نملة الأنصاري، رقم ١٧٣٥٧، ط دار الأفكار الإسلامية.

(٢) ويروى أنه كان (دانيال) في عهد «بخت نصر»، وروي أنه حين فتح المسلمون «تُستَر»، وقفوا على قبره ووجدوا عنده مصحفاً (ملحمة!) فيه أخبار ما سيكون، كأخبار الفاتحين من الصحابة، فغيَّب المسلمون قبره حتى لا يكون وسيلة إلى الشرك، وطبعي أن تكون «ملحمته» مما غُيّب أيضاً، وإن لم ترد به الرواية التي أخبرت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ضرب رجلاً تحصل على نسخة منها، وأمره بمحوها. انظر: الجامع لأخلاق الراوي: ٢/ ١٦٢، وتقييد العلم: ٥١، ٥٧، ومنهاج السنة: ١/ ٤٨٠، والفتاوى: ١٥/ ١٥٤ و١٧/ ٤٦٣، وابن كثير: ٢/ ٣٧، والفتن لابن حماد: ١/ ٣٨ و٢/ ٤٤٥، ٦٨٩، وكشف الظنون: ٢/ ١٨١٨.

(٣) قال ﷺ: (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر) البخاري: فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، وكذا عند مسلم.

إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - مع ما أغضبه عندما سأله رجل عن «الزَّبور» فقال له : «ما أجهلك ، ما أفرَغك ، ما لنا في : نافع ، عن ابن عمر ، عن نبينا ما شغلنا بصحيحه ، عما بيننا وبين داود عليه السلام؟ !»[1] .

على هذا كان الصدر الأول من هذه الأمة ، حتى تكاثرتِ الشيعة والسبئية والخوارج ، ثم أخذ كلّ ضليّل - أواخر عهد بني أمية - بأَرْسان من تَبعَهُ حتى شَعَّبَوهم فِرَقاً ضالة متشاكلة ومتنافرة ، وفشا الكذب في الحديث النبوي ، وكثر القصّاص ، وطفقتِ الشعوبية ، والزنادقة تكيد لهذه الأمة كُيودها .

ولما كثر التصنيف بعد أن استقرّ الأمر لبني العباس ، كان فيما كَتبه أصناف من العلماء والإخباريين ، صالحهم وطالحهم ، كتب الملاحم ، والمغازي ، والتفسير ، مصنفات مستقلة ، أو في باب من أبواب مصنفاتهم ، فكان الموَّفق فيّ ذلك إلى الرشاد من اقتفىٰ الحديث والأثر ، أما من كان على عقدٍ مَشُوب ببدعة ، أو كان صِرْفاً فيها ، فما زاد على أن جمع كذباً وكلاماً فارغاً ، عُرِفَتْ بذلك - أعني بتكثير الفارغ من الكلام حتى إن القاضي التنوخي (ت٣٤٢هـ) لم يخطر بباله - والله أعلم - حين أراد أن يُعبّر عن كثرة المكتوب إلا كتب الملاحم ، وذلك قوله :

ولو علمَ القرطاسُ ما في ضميرِهِ   شكا وبكا لكنَّهُ غير عالمِ
ولوضُمِّنت كتبي من الشوق بعض ما   تَضَمَّنَ قلبي صِرنَ كتبَ ملاحمِ

وربما كان ما صُنِّف من أخبار أهل الكتاب وهي ما قد عرفت ، فمن تلك الكتب ما كتبه كثير من الإخباريين في الملاحم ، مما يصحّ

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي : ٢/ ١٦١ .

نعت بعضها بديوان كاهن ، وعبث زنديق[1] .

ثم تتابع أجناس، فصنفوا فيها مثل: ملاحم ابن مرّانة، وملحمة منسوبة لابن سينا ، وأخرىٰ لابن عربي[2] ، وملحمة أبي العباس ،

---

(١) وهذه أسماء بعض كُتاب الملاحم المتقدمين، فمنهم: تبيع بن عامر الحميري، ولا عجب فهو ابن زوجة كعب الأحبار (سير أعلام النبلاء ٤/ ٤١٣)، وأحمد بن جعفر المنادي ، الذي سمى كتابه: «ملاحم عابري الأيام ، المقتصّ على محمد بن أبي العوام» (بُغية الطلب: ٢/ ٥٩٦) وإسماعيل بن مهران ، وشعيب الجبائي (صاحب خبر حج سفينة نوح ووقوها بعرفة ٢/ ٢٨٧)، ويسير بن جابر، والحسن بن فضال الكوفي، وأبو الحسن بزرج الكوفي، والدورقي، ومحمد بن الحسن الصفار، والعياشي ، وعبدان الإسماعيلي ، وغيرهم ، فقد ترى أن منهم «السني» ، والشيعي والإسماعيلي، وقد ذُكِر أنَّ للحاكم بأمره العُبيدي ملحمة عملها، وسماها: «الأبد» (البستان الجامع: ٢٧٨) ولعل مَن نَسب ملحمة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسماها «القطقطانية»، هم بعض أتباع الحاكم بأمره. و«شمس الغروب في الملاحم والفتن والحروب» للبوني انظر: الذخائر الشرقية: ٦/ ٥٧٠ ، وفي فهرس مخطوطات المرعشي النجفي ، التي في «قُم» مخطوطة بعنوان: ملحمة الإمام الصادق: ٥/ ٢١٥، وانظر الفهرست: ٣٣٤ ، ٣٢٦ ، ٣٧١ ، ورجال النجاشي: ١٨٤ ، ولسان الميزان: ١/ ٥٥٥ ، ٣/ ١٧٧ ، ٧/ ٤٨١ ، وإيضاح المكنون: ٢/ ٣٣٦ ، والأعلام: ٢/ ٢٠٠ ، والمقفى الكبير: ٤/ ٥٥١ ، وكشف الظنون: ٢/ ١٠٦١ .

(٢) الذخائر الشرقية: ٦/ ٥٧٠ ، ويُنسب إلى ابن عربي كتاب بعنوان: «الشجرة النعمانية والرموز الجفرية في الدولة العثمانية» هو من باب الملاحم ، وليس ببعيد أن تكون من قلمه ، أليس ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام ، آية ١٢١] وذكر ابن عربي أنه رأىٰ ، ما زعمه رؤيا ، وهو في الأناضول سنة ٦١٢ هـ ، (عند صديقه إسحاق الملطي ، =

أحمد بن أبي جمعة ، التي مطلعها:

كِليني إلى أعمال كيدِ الكواكبِ بحربٍ أراه في بلاد المغاربِ[1]

وظهرت الملاحم الفارسية في العهد الإسلامي،وهي غير واحدة ، لكن أشهرها: الـ«شاهنامة»[2]، منظومة الفردوسي [كان حياً في أواخر القرن الرابع الهجري] وكذلك ملاحم كُتبت تحكي وقائع «جنكيزخان» و«هولاكو»،ويدخل في عديدها مايطلق عليها:«السير الشعبية»،مثل كتاب «فتوح الشام» المنسوب للواقدي، وسيرة «عنترة»،وسيرة «سيف ابن ذي يزن»، و«الحصون السبعة ، وحروب علي بن أبي طالب مع صاحبها: هضام بن جحاف»، و«رأس الغول» ، وأمثالها[3].

= ت٦١٨ هـ ، والد الصدر القونوي) أن السلطان السلجوقي سيفتح مدينة سيواس،فكتبها في أبيات وأرسلها إلى السلطان وكان ظالماً غشوماً فزعم أنه تحلّمها قبل فتحها بعشرين يوماً،فهذا اعتراف منه: كيف كان يكتب ملاحمه ، انظر: محاضرة الأبرار: ٢/ ٤٢٠ ، والذخائر الشرقية: ٦/ ٢٠٢ ، وينسب شرح «للشجرة» إلى تلميذه الصدر القونوي (ت ٦٧٣ هـ) وآخر إلى خليل الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ومخطوطاتها متوافرة في إصطنبول، ومنها نسخ في القاهرة ، ورأى العيني (ت ٨٥٥ هـ) شرح ملحمة ابن عربي ، ولم يُسمّ الشارح انظر: السيف المهند: ٢٧٩ . وأما المقريزي (ت٨٤٥هـ) فذكر أنَّ أحدهم أخبره باطلاعه على شرح لها ولم يُسمِّ الشارح أيضاً. (الخطط: ١/ ٣٧٢، ومسودة الخطط ص ٦٢ ـ٦٣).

(١) الإلمام بالإعلام: ٥/ ٣٥٧.

(٢) وكان أحد أعوان «تنكز» نائب الشام،المسمى حمزة التركماني (ت٧٣٥ هـ) يقرؤها عليه في ليالي السمر ، أعيان العصر: ٢/ ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٣) انظر: الفتاوى: ١٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٨ ، وسير أعلام النبلاء: ١٩/ ٣٦ ، وفتوح الشام: ١/ ٢٦ للواقدي ، وأكثره كذب قطعاً ، ولغته نازلة ، وأذكر أني =

والغالب على هذه الملاحم الخرافات المضحكة ، ومنها التي حكم بعض العلماء بأنها «مركبة من إخبارات بعض الكهان ، ومنامات ، وفراسات ، وقصص متوارثة عن أهل الكتاب[1] وغيرهم ، ومزج ذلك بتجارب حصلت مع اقترانات نجومية ، واتصالات كوكبية يعلم بالحساب حصولها في وقت معين. .»[2]، فاستنتج خلفُ هؤلاء «المَلْحَمِيُّون»!! عن سلفهم، حصول مثيلاتها كلما وقعتْ تلك الآثار،

= قرأت اسم أبي الفرج الأصفهاني فيه ، وقد أُلف قبله بعشرات السنين!

(١) من أشهر من نقل الإسرائيليات: كعب الأحبار (ت٣٢ هـ) التابعي ومما يروونه عنه أمر مريب بحقّ (لو صحّ)، فقد ورد أنه علم من «التوراة» تاريخ موت عمر الفاروق رضي الله عنه ، وتعيين يومه أيضاً!! وكان العلامة الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ قد ارتاب في أمر كعب لما قرأ الخبر عنه، وحكم ـ لو صحت الرواية ـ على كعب بالاشتراك في مؤامرة اغتيال الفاروق ، انظر «أخبار عمر بن الخطاب»: ٣٩٦ ، وقد عجب شيخ الإسلام ابن تيمية، من توقف العلماء في مراسيل كبارِ التابعين كعطاء والحسن وأبي العالية وغيرهم ، وبينهم وبين النبي ﷺ رجل أو ثلاثة رجال ـ مثلاً ـ ثم لا يعاملون مرويات (كعب) بالمثل ، وواقع الحال أن بينه وبين من ينقل عنهم من النبيّين أجيال وأجيال!! انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٤٩/٢، ٣٥٠ وتخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق: ٥٦ قلت: ذكر بعض العلماء أن كعباً ليس يكذب بل ربما نقل كذباً، فلا أجد ما أقول إلا ما قاله ابن كثير عنه وعن أمثاله من مسلمة أهل الكتاب: سامحه الله فيما نقله إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل. . . انظر تفسيره ، سورة النمل: ٢٨.

(٢) مفتاح دار السعادة: ١٧٤/٢ ، وزاد المعاد: ٧٨٨/٥ ، ٧٨٩ وانظر ما قاله الهيثمي (ت ٩٧٤ هـ) في الفتاوى الحديثية: ص ١١٨ ، ويفهم من كلام الذهبي في «السير» أن الناس في زمانه كان يكثرون من مطالعة الملاحم ، سير أعلام النبلاء: ٢٠٦/٢ ، ٢٠٦.

ونسجوا على طريقتهم وكانت عنايتهم بذلك، وبالتنجيم شديدة، وبهذا كثر الرجم بالغيبِ والهَذر فيها، ثم إنه قد توافق حادثة ـ فيما ندر ـ بعض قَدَر الله تعالى ، فترى الجاهل من هؤلاء لا يلتفت إلى المئين من أخبارها التي بان كذبها ، وإنما يعظم ذلك النادر ويجعله دليل صدقها، وبهذا صارت مقبولة لكثير من البشر ، تلقنهم الضلالات ، والفتن[1] .

ومما يذكر هنا أنَّ تكرُّر ظهور المُذنَّبات الكبيرة في السماء كانت من العوامل التي جعلت الناس يصدقون كُتَّاب الملاحم ، والمعروف أن من المذنبات ما لها دورات حول الأرض، يراها الناس عند اقترابها من الأرض ثم لا يرونها إلا بعد سنين طويلة، وفي وقت لاتتأخر عنه، كالمذنَّب الذي سماه الغربيون: مذنب «هالي»، وأحسب أن ما ذكره ابن زيني دحلان [ت١٣٠٤هـ] من ظهور نجم في السماء سنة ١١٨٤هـ، ذي شعاع وله ذَنَبٌ هو هذا المُذَّنب، وذكر أن الناس تشاءموا به ، وأورد نظماً لرجل من مدينة [فاس] فمن أبيات منظومه قوله:

إذا لاحَ نجمٌ مِنَ المَشْرِقينِ كثيرِ الشُّعاعِ طويلِ الذَنَبْ
إذا ما بدا فاحسبوا بعده ثلاثين عاماً ترونَ العَجَبْ

وقصيدة من جنسها لمن سماه النجم البغدادي:

ويبدو في السما نجم طويل له ذَنبٌ وذو شعر طوال[2]

ومثله ما حكاه الجبرتي [ت١٢٣٧ هـ] من رؤية الناس في شهر شعبان سنة ١٢٢٦هـ ،نجماً له ذنب استمرت رؤيتهم له ثلاثة أشهر ،

---

(١) انظر: مفتاح السعادة: ١/ ٣٨٧، لسان اللسان: ٢/ ٤٩٩، والمعجم الوسيط: ٨١٩، وفي الأدب المقارن، والقصة في الأدب الفارسي: ٩٧، ٢٢٩، ٢٧٩.
(٢) خلاصة الكلام: ٢٠١ ، ٢٠٢.

وذكر أن الناس سألوا الفلكيين عنه، ونقّبوا في دلائل ذلك الظهور وأنهم بحثوا: «... عن الملاحم المصنفة في ذوات الأذناب»[1].

ودور أهل الكتاب في وضع الملاحم ونشرها، ثابت بأدلّة منها هذا الذي أورده ابن العديم (ت٦٦٠ هـ). في تاريخ حلب، بسنده إلى عبد الله بن جرير الجواليقي قال: «أخبرني رجل من أهل الكتاب موصوف بجمع الملاحم أن هذا الكتاب - يعني كتاب دانيال عليه السلام - عندهم، مسموع من كبرائهم، لا يكادون يدفعونه إلا لمن يثقون بكتمه ليعرفهم بما يتضمنه من عجائب الملاحم[2] ويفهم أن الجوالقي هذا قد استنسخها.

وقد كان من تحقيق الإمام ابن القيّم في في [زاد المعاد] قوله: «وأما أصحاب الملاحم، فركّبوا ملاحمهم من أشياء:

الأول: من أخبار الكهان.

والثاني: من أخبارمنقولة عن الكتب السالفة متوارثة بين أهل الكتاب.

والثالث: من أمور أخبر نبينا ﷺ بها جملة وتفصيلاً.

والرابع: من أمور أخبر بها من له كشف من الصحابة ومن بعده.

الخامس: من منامات متواطئة على أمر كلي وجزئي فالجزئي: يذكرونه بعينه، والكلي: يفصلونه بحدس، وقرائن تكون حقاً أو تقارب.

والسادس: من استدلال بآثار علوية جعلها الله تعالى علامات..»[3].

---

(١) عجائب الآثار: ٣/ ٢٣٤.

(٢) بغية الطلب: ١/ ٥٠٣.

(٣) زاد المعاد: ٥/ ٧٨٧، ٧٨٨.

بعض مَن خُدع وخَدع بالملاحم في التاريخ:

ذكرت كتب التاريخ أن القائد العباسي، الشعوبي: أبا مسلم الخراساني [ت ١٣٧ هـ] ـ حَجَّاج زمانه ـ كان ينظر في الملاحم، وأنه كان يجد نفسه مذكوراً بأنه مميت دولة ومحيي دولة[١]، وذكرت أيضاً أن الروم لما أقبل المعتصم [ت ٢٢٧ هـ] إليهم في عمورية، أذاعوا أنهم يُرَوَّوْنَ في بعض أمثال هذه الكتب أنه: لا يفتح حصنهم إلا أولاد زنى !! فذلك قول أبي تمام يكذبهم:

السيفُ أصدقُ أنباء من الكتبِ ....[٢]

ونَقَلَتْ روايةً تزعم أنه قريَ على المتوكل [ت ٢٤٧ هـ] قبل قتله بأيام كتاب من كتب الملاحم، فيه أنّ الخليفة العاشر من بني العباس يُقتل في مجلسه، وأن ذلك قد وقع بالوصف نفسه[٣]، قلت: ما أشبهها ـ لو صدقت الرواية ـ بملحمة تكذّبَها من تآمروا عليه.

وسجَّلَتْ أيضاً أنّ ورّاقاً محتالاً في عهد الخليفة المقتدر [ت ٣٢٠ هـ]، يُعرف بالدانيالي كان يُعتّق أوراقاً لتبدو ملاحم مما تركها الأولون، ثم ينسبها إلى «دانيال»، ويكتب عليها بخطّ قديم حروفاً يرمز بها إلى مشهورٍ في الدولة يتطلع إلى الرفعة، فكان أنْ

(١) الفتوح: ٣٨٦/٤، والسيف المهند: ١٣٩، وانظر: ٢٧٩، ٣٠٧، وقد أخطأ العيني هناك إذ بدا كأنه يصدق كُتَّاب الملاحم.

(٢) أخبار أبي تمام: ٣١، ٣٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٤٣٩/٩، نهاية الأرب: ٢٩٦/٢٢، وشذرات الذهب: ١٦٦/٢.

صُدّق ، وكسب الكذاب من ذلك مالاً[1] .

وقال داود بن حمدان المعروف بالمجفجِف يمدح أحدهم :

أتيتُكَ يا ابن الفضل مِنْ آل مَزْيَدٍ ويا ابن الألى ما فوق مَجْدِهِمُ مَجْدُ
قد حكمت كل الملاحـــم أنـــه على الجانب السعدي طالعك السَّعدُ[2]

ويبدو أنَّ أمير الدولة الصنهاجية : تميم بن المُعِزّ [ت ٥٠١ هـ] قد خدعه بعضهم ، فكتبوا له ملحمة ، فظن أن المذكور فيها بلقب «الملك المغدور» ابنه يحيى [ت٥٠١ هـ] فولاه الملك[3] .

وجاء مشرقيّ إلى أمير الأندلس : يعقوب بن يوسف ، أمير الموحدين [ت٥٩٥ هـ] زاعماً أنه رسول ملك الهند إليه وقال : إنه قرأ في ملحمة هندية أن الأمير المذكور تستولي جيوشه على المشرق ، ثم الهند ، لكن الأمير كان أعقل من أن يُخدع بهذا ، فما اهتمَّ لكذبه[4] .

ومِن هؤلاء الكَذَبة : القلندريُّ محمد البَاجُرْبَقِيّ [ت ٧٢٤ هـ] المتهم بالزندقة ، له «الملحمة الباجربقية» ، وقد نقل محمد بن قاسم النويري السكندري [ت٧٧٥هـ] الصوفي ، أبياتاً طويلة منها : وشرحها بعقله المُصدّق لها ، قال :

« . . . فرأيته [يعني الباجربقي] ذكر فيها الملوك وكنى عنهم بالحروف ، وما يكون في المستقبل من وقائعهم ، فأشْكلتْ عليّ

---

(١) المقدمة : ٢٥٤ .

(٢) بغية الطلب : ٨/ ٣٧٤٠ .

(٣) وفيات الأعيان : ٦/٢١٦ ، ٢١١ .

(٤) الوافي : ٢٨/ ١٠٥ .

الحروف فحَدَست بعضها!! ، وتركت الباقي. . . »[1].

وقد رأىٰ ابن خلدون [ت ٨٠٨ هـ] والمقريزي [٨٤٥ هـ] نسخة منها أيضاً ، وأولها:

إنْ شئتَ تكشف سرّ الجَفرِ ياسَكَني من عِلمِ خيرِ وصيٍّ والدِ الحسنِ
فافهمْ وكنْ واعياً حرفاً وجُملته والوصفَ فافهم كفعل الحاذق الفَطِنِ
أما الذي قبل عصري لستُ أذكره لكنني أذكر الآتي من الزمنِ[2]

ومن كُتابها النجم الحِطّيني ، الذي أغوى «جولجين» مملوك الناصر محمد بن قلاوون [ت ٧٤١هـ] ، بملحمة كتبها له ثمَ عتّقها ، وزعم له فيها بأنه سيَلي عرش السلطنة بعد الناصر ، فصدَّقه «جولجين» ، فكان عاقبة أمرهما «الإعدام» سنة ٧١٥ هـ[3] ، ويأتي حزم الناصر في هذه الحادثة خشية أن تُحدث «تشجيعاً» في عزائم الطامحين في السلطنة ، وليكون في ذلك عبرة لأمثال الحطينيّ من الغواة ، كُتاب الملاحم المفسدة ، ولعل الناصر حُدّث ممن حوله من مستشاريه ، ممن أدرك سلطنة أبيه قلاوون [ت ٦٨٩ هـ] كيف زَيّن

---

(١) الإلمام بالإعلام: ٥/ ٣٦٠ ـ ٣٦٦.

(٢) المقدمة: ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، والمقفّى الكبير: ٦/ ٦٦ ، قلت: وحكى شيخ ابن خلدون،قلت: أكمل الدين البابرتي (ت ٧٨٦ هـ) (نسبته إلى مدينة في تركية تسمى اليوم «بايبورت») شيخ الصوفية بالقاهرة أن الباجربقي كان يتحدث عما يكون بطريق الكشف ، ويومئ إلى رجال معينين عنده ملغزاً ذلك بحروف . قلت: ويفهم أن زندقته وملحمته لم تتعرضا للسياسة ، فلذلك أغفل الناصر شأنه حتى انقلع ـ هذا تعبير الذهبي ـ في قرية بضواحي دمشق ، وخلف أتباعاً ، أُرجّحُ أن فرقة (الحروفية) امتداد لهم.

(٣) الوافي: ٣/ ١٣٦ ، والأعيان: ٥/ ٤٩٨ ، ٢/ ١٧٥.

بعض صُنَّاع هذه الملاحم، لمنافس والده قلاوون ، الأمير: سنقر الأشقر [ت٦٨٠ هـ] المُضيّ في «انقلابه» مطمَئناً ، فهذا ابن العطار [ت٧٠٢ هـ] يفيدنا ذلك حين ردّد مسموعه أو مقروءة ، فقال:

أتى الأشقر الملكُ الذي بشّرتْ به ملاحمُ من قيل الأعاريب والفُرسِ
سيبلغُ أقصى الشرق والغرب مُلكه ألم ترَ أنّ الشرق والغرب للشمسِ[1]

وهذا الصاحب شرف (ت٦٦٢هـ) قال في ممدوحه :

رأيتُكَ يا محمودُ يابْنَ محمَّدٍ فتىً حَمْدُهُ فرضٌ على الناسِ لازِمُ
وأنَّكَ لَلْمَلِكُ الذي بِنَوالِهِ وعَدْلِ سُطاهُ بشَّرَتْنا الملاحِمُ

ومنهم من قال بيتاً يحكي به أشعار ابن أبي عقب ، في موقف طريف حكاه اليُونيني عن قائله، بدر الدين بن القويرة (ت٦٧٥هـ) من قوله :

ويَمْلك الشام ملكٌ اسمه قُطُز ويقتل الترك في حمصٍ وفي حلبِ[2]

ومنهم أحمد بن يوسف الزُعَيفِريني [ت٨٣٠ هـ] الذي كان يزعم أنه يَعلَم علم الحروف ، ويستخرج من القرآن ما يعلم به المغيّبات ، وقد خَدع من أمراء المماليك طائفة ، فكان أنْ نَظم لأحدهم ملحمة أوهمه أنها قديمة ، وأنه يتملّك مصر هو ، وولده من بعده ، فكان جزاؤه ، قطع لسانه ، وعقدتين من أصابع يُمناه[3].

ويفهم من تحذير شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية من ملاحم ابن أبي عقب وأمثالها ، وتحمّس القاضي ابن السراج الدمشقي في الدفاع

---

(١) الوافي: ١٥/ ٣٠٠.
(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٠٣.
(٣) الضوء اللامع: ٢/ ٢٥٠.

عنها ، ثم ورودها في سَجعات ابن الورديّ (ت ٧٤٩هـ) من قوله : «. . .وقرأت لها في ملحمة ابن عقب من مصارع القرون ما كفى . .»[١] ، ومن قول خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ): «. . قد قال لها لسان النار: هل سمعت بهذه الحادثة في ملحمة ابن عقب؟»[٢]، يصفان حريق دمشق ، في أواخر ولاية تنكز على الشام سنة ٧٤٠هـ ، ما للملاحم مِنْ مكانةٍ في قلوبِ أهلِ ذلك الزمان من الصوفية والعامة .

ومن عَجَبٍ أن تَمتدَّ «شَعْبيّتها» في الزمان والمكان ، فتبلغ عوامّ سكان الجزيرة العربية ، فتخالط أساطيرهم ، قرأتُ ذلك في مقالة عن هذه الملاحم ، فقد ذكر صاحب المقال كلام أحد الفضلاء الذين أرخوا لمنطقة (حايل) ، فنقل في ذلك أقصوصة لعلها كانت أيام عبد الله بن الرشيد [ت ١٢٦٣ هـ] أو أبنائه ، حيث تقرأ نظماً أُلْحِقَ بملاحم ابن أبي العقب، (لغته نجدية!!) منه:

ويملك نجد رجلٍ قصيرٍ   خَيلهْ أَكثرْ من سيعان النمالِ

ومنه:

يا نجدْ يا بنتٍ خنوفٍ   خنوف ولا تجيب العيال[٣]

---

(١) ديوان ابن الوردي: ١٢٤ .

(٢) مسالك الأبصار: ١٢/ ٤٩١ .

(٣) مجلة «العرب» عدد ٥ ـ ٦ ، ١٤١٥ هـ ، وقد تلحظ أن غرض التكسب بها من هدايا المتملكين والطامعين في الملك ظاهر، من ذكر بعض السلاطين وغيرهم فيها . =

وقال بعض الباحثين: «إنّ كل أسطورة ملحمية تتضمَّن في جذورها بذرة تاريخية حقيقية ، يضيف إليها الشعراء ما يحلو لهم من فصول ومشاهد . .»[1] ، وأرىٰ أنّ الصحيح في هذا الكلام آخره ، أما شطره الأول ، فمن الصعوبة إثبات «البذرة» التاريخية في بعض الملاحم لأن بيننا وبينها دهرٌ داهر ، وعليها من أكاذيب العصور كرمل عالج ، فكيف يقال: «كلّ أسطورة. . إلخ» ؟! .

ويُفهم أن أصل ملاحم «ابن أبي عقب» القديمة كانت أشعاراً ضُمِّنتْ ذكر مظالم بني أمية، ما صحّ منها ، أو ما تَكذّبه أعداؤها[2] ، وأن الحال السياسية ربما ألجأت من كان من أنصار بني العباس إلى أن يضع شعراً يبشّر بمجيء هؤلاء ، وانقضاء زمن أولئك ، وينسبها إلى من لا تقدر عيون بني أمية وشُرَطِهم أن يعثروا عليه: ابن أبي عقب!!

ويفهم أن إضافات كثيرة ألحقت بالمكذوب القديم في أواخر الدولة الفاطمية ، وأوائل عهد الدولة الزنكية لما قَضَتْ هذه على الأولىٰ، ونظفت البلاد من الرفض ، هذا ما بدا لي من كلام شيخ الإسلام عليها الذي اتّهم ـ رحمه الله تعالى ـ: الطُرُقِية ، والنصيرية ، وأذناب الفاطميين في مصر بذلك النحل والوضع.

ولقد كُذِب على شخصية «ابن أبي عقب» ، كما كُذب على شخصيات لها أصل تاريخي كعبد الله البطال [ت١٢٢ هـ][3] وغيره ،

(١) المعجم الأدبي: ٢٦٤.

(٢) والحق إن ما افتراه أعداء بني أمية ، وتكذبوه ، وبالغوا في الواقع منه ، أكثر مما كُذِبَ على الدولة العثمانية ـ مثلاً ـ بل وأشد خطورة.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٥/٢٦٨.

ولكنهم ، وأعني الشيعة في البدء ، والفاطميون ، ومن سماهم ابن تيمية فيما بعدُ ، قد أنطقوا «ابن أبي عقب» كما لم ينطقوا غيره ، إذ كان يُحمّل قصائد سياسية «غيبيّة» فيها آمالهم وعقائدهم!!.

تحذير العلماء من الملاحم المكذوبة :

قديماً ما حذّر العلماء ـ كالإمام أحمد(ت٢٤١هـ) ـ من تصديق الملاحم المنتشرة عند الوارقين، وقال الخطيب البغدادي (ت٤٦٣ هـ) في التعليق على قول الإمام أحمد بن حنبل: «ثلاثةُ كتبٍ ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير» بعد أن ذكرأن كلامه في المغازي والتفسير والملاحم محمول على كتب مخصوصة غير معتمدة لسوء أحوال مصنفيها ، مثل: الكلبي، ومقاتل بن سليمان، والقُصَّاص والمجروحين، فقال: «أما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، ولا يصح في ذكر الملاحم المرتقبة، والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتصلت أسانيدها إلى الرسول ﷺ من وجوه مرضية، وطرق واضحة جلية»[1].

قال العالم الهندي: صِدّيق بن حسن القِنّوجي [ت١٣٠٧ هـ] في بعض كتبه: «. . . ولا ينبغي لمن يعتقد دين الإسلام بقلبه السليم أن يميل عند حدوث أمثال تلك الحوادث والأحوال إلى أقوال المشايخ ، وآراء الرجل بل الذي يجب على كل مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، أن يستعلم حكم الفتن قبل الابتلاء بها من السنّة كما قيل: أعطِ القوس باريها. . .»[2].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي: ٢/ ١٦٢.

(٢) أبجد العلوم: ٥١٨ ـ ٥١٩.

إن المسلم العاقل لا يُسرف وقته في قراءة هذه الملاحم الخرافية المبطلة لا القديمة، ولا التي تكتب حديثاً عند تتابع الفتن في هذا الزمان، وتكالب العدى على «القصعة» ، ولو اكتست لبوس العصر في أسلوبها وازّينَت به[1]، فضلاً عن أن يحفل بأكاذيب يهود، وأذنابهم من النصارى المُتَصَهْيِنين، الذين يُرعبون ضعاف العقل والدين منذ سنين عدة بذكر ملحمة «هَرْمَجدُّون»، يَبُثُّون خبرها في كل وسيلة تنقل بها المعلومة اليوم، فلا تخدعنَّ برواياتهم الخيالية، و«اعرف عدوّك» فإنك مستغن عنها بإيمانكَ بالله تعالى مقدّر الأقدار، ومصرّف الحوادث جلّها ودقّها، وتؤمن أن العاقبة للمتقين، فإن تاقت نفسك، وتشوقت، وأبت إلا أن تتطلع إلى ما غُيّب عنها وأن تقرأ فيه ، فكُفَّها بما صحَّ من الأحاديث النبوية في الملاحم المستقبلية وغيرذلك من علامات الساعة، فهي من باب الإيمان الذي يؤمن به المسلم بعد ثبوت نسبتها إليه ﷺ، أليس قد قال الله تعالى عن رسوله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم].

فكل ما صحّ عن نبينا ﷺ من الحوادث التي أخبر عنها ، فإنها ستتحقق كما تحقق ما أخبر به من استشهاد عمر ، وعثمان ، وعلي ـ رضي الله عنهم ـ وما أخبر به «أم حرام» رضي الله عنها ، وفيه أنها تكون مع من يغزون قبرص من المسلمين[2].

---

(١) أعني تلك التقارير الدولية التي تبالغ في تنبؤاتها «العلمية» من جفاف وقحط، وارتفاع مستوى البحر، وغرق مدن ساحلية، وما قيل من اتجاه نيازك كبيرة إلى الأرض وتوقع اصطدامها بها..

(٢) مسند أحمد: ٤٩/٥ ، والبخاري ـ الفتن ٩٢ ، والجهاد والسير: ٥٦ ، ودلائل النبوة: ٣٨٦/٦ ، ٣٩١. =

وحديث «الوعاءين» الذين حفظهما أبو هريرة - رضي الله عنه - [وغيره من الصحابة] عنه ﷺ[1]، وامتناع أبي هريرة من بثّ ما يجلب له الأذى في أشدِّ صوره، وقد علمتَ أنّ ما امتنع من بثِّه مما لا تعلُّقَ له بالحلال والحرام، وإلا لأنكر الصحابة عليه كتمانه العلم، ثم إنه حدّث هو، أو حذيفة، أو أسماء - رضي الله عنهم - بما حدّثوا به، وقد كان أبو هريرة يستعيذ بالله من رأس الستين [وورد السبعين]، وإمارة الصبيان، لما سمعه من رسول الله ﷺ في ذلك.

ويَرِدُ أنَّ كعب الأحبار - الذي سمع منه بعض الصحابة «إسرائيلياته» - سمع من أبي هريرة، وغيره بعض هذه الإخبارات النبوية، وليس من التوراة أو من كتاب ملحمة، وذلك حين سمع الحادي الذي يحدو بجمل ذي النورين عثمان، يقول:

إن الأميــــر بعـــــده عليّــــا وفـــي الــزُّبيــر خلفــاً رضيّــا

فقال كعب: لا، ولكنه صاحب البلغة الشهباء، يعني معاوية رضي الله عنه[2].

ويفاد من امتناعه - أعني أبا هريرة - من التحديث العلني بها حكمة وفقهاً، فقد عرف القاعدة في ذلك: [ما أنت بمُحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة]، وروي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - من قوله: «لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم، وتفعلون كذا وكذا لقلتم: كذب أبوهريرة»، وفي رواية أنه

---

(١) صحيح البخاري، في العلم: (١٢٠).

(٢) السنة، للخلال، رقم ٣٤٨، هذا أقرب إلى الحق، وأَدْعىٰ ألاّ يتحمل المرء إثم اتهام كعب بالتخرص، وادّعاء الغيب.

قال: «لو حدث بكلِّ ما سمع لقالوا عنه: أبو هريرة مجنون»، وكذلك ما روي عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ من قوله: «لو كنتُ على شاطئ نهر، وقد مَدَدْتُ يدي لأغترفَ، فحدثتكم بكلِّ ما أعلم؛ ما وصلتْ يدي إلى فمي حتى أُقتل».

وأحسب أنهم خشوا أن يَتخذ الخوارج ما يسمعونه مدرجة لغرضهم الفاسد في الخروج على ولي أمر المسلمين، فيستشري الفساد في الأرض، فإنهم الذين رأوا وسمعوا انحراف عقول وفهم أولئك الخوارج للنصوص الشرعية، وهذا ماأحسب أن خُبيب بن عبد الله بن الزبير [ت٩٣هـ] ـ رحمه الله تعالى ـ لم يتنبّه إليه عند تحديثه علانية بما سمعه من الصحابة من حديث: «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً، اتخذوا دين الله دَخَلاً، وعباد الله خَوَلاً، ومال الله ـ عزّ وجلّ ـ دُوَلاً»[1]، وكان اجتهاده خاطئاً، فناله ما قد خشيه أبو هريرة رضي الله عنه، وليس صحيحاً ما سمعه الزبير بن بكّار [ت ٢٥٦ هـ] من أن خُبيباً قرأ الكتب (الملاحم) حتى شَبَّهَهُ بمن تعاطى التنجيم، فلو كان كذلك لما نَدم عمر بن عبد العزيز، لموته تحت العقوبة، في خلاف السلطان، ولم يَبكِهِ كالثكلى، وما قال لِمَن كان يُبَشِّره بالخير يلقاه عند ربه: «كيف؟ وخبيب لي على الطريق!!».

المَعْنِيُّ هنا التأكيد بالقول: إن أحاديث الملاحم التي ستكون في آخر الزمان كقتال المسلمين لِيَهُود[2]، والروم، والدجال، صدقٌ

(١) وتأمل في مكانة الصحابي الجليل: معاوية بن أبي سفيان من الرفعة حين كان من الذين رووا هذا الحديث.

(٢) انظر عما سبق: صحيح البخاري، كتاب، الفتن وكتاب الجهاد، باب قتال اليهود، وصحيح مسلم، الفتن، وأشراط الساعة، وجمهرة نسب قريش =

لا مرية فيها ، وعلى المؤمن التسليم بها بعد ثبوتها بالإسناد الصحيح، الذي لا علة فيه عند أهل الحديث ، واحذر الشُبَه التي يَهْرِف بها أهل التعاقل، إخوان المعتزلة «العَصْرانيّون»، ممن يُقدّسون العقل بزعمهم، وهم في غَيْهَب جهلٍ عَمُون ، وما الذي يُصدّقون الملاحم الخرافية القديمة، أو المستحدثة، من وصف أَضْدادهم ببعيد.

* * *

= وأخبارها: ٣٦، والفتاوى: ١٣/٢٥٦، وتهذيب الكمال: ٥/٥٠٧، ٥٠٠، وسير أعلام النبلاء: ٢/٥٩٧ ، وطبقات ابن سعد: ٢/٣٦٤ ، ٤/٣٣١ ، والمعرفة والتاريخ: ١/٤٨١، وتهذيب الكمال: ٥/٥٠٧ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز: ٤٢ ـ ٤٥، وابن كثير: ٩/٩٢، وتقريب التهذيب: ١/٢٦١. =

« ترجمة » من نُسبت هذه الملاحم إليه

اسمه:

هو في أقدم الروايات: عبد الله بن بشّار بن أبي عَقِب [مرة: ابن أبي عقب، ومرة: العقب][1]، ويُنسب إلى ليث بن كنانة، حليف بني زهرة... أو إلى ليث بن بكر بن عبد مناة[2]، فهي ليثي.

هذا اللفظُ الصحيح لاسمه ـ ممن وضعه!! ـ أما «يحيى»، فيبدو أنه زِيدَ في العصور اللاحقة، كما قد اختصر اسمه من: ابن أبي عقب إلى: ابن عقب.

ذكره في المصادر:

١ ـ أَقْدَمُها في ذلك، وأكثرها تفصيلاً، ما وقفتُ عليه عند صاحب «المُحَبّر» محمد بن حبيب[3]، فقد أورده في المغتالين من

---

(١) هو عند ابن حبيب في: «أسماء المغتالين» كما أثبته في المتن، وهو عند الجاحظ في البيان والتبيين: «ابن عقب»، أو «ابن أبي العقب» كما تجده في الأغاني، أو: «الأعقب» كما في (معجم البلدان) لياقوت الحموي، أو: «يحيى بن عبد الله بن أبي العقب» كما عند ابن خلكان، أو: «ابن عقاب» كما في غير طبعة من مقدمة ابن خلدون، وسماه الحاج خليفة: في كشف الظنون: «يحيى بن عقب»، وزاد ناسخ مجهول في مخطوطة حوَت بعض ملاحمه: «الشيخ شرف الدين، يحيى بن عقب»!!.

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني: ٥/ ١٥١.

(٣) عالم اللغة والشعر والأنساب والأخبار: محمد بن حبيب، أو جعفر البغدادي، مولىً بني العباس، كان مؤدباً لولد العباس بن محمد الهاشم =

الشعراء ، فقال: «. . . ، ومنهم عبد الله بن بشّار بن أبي عقب الشاعر ، وكان رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب[1] ، وكان يجالس عبيد الله بن الحُرّ الجُعفيّ ، فيخبر بما خبّره عن علي رضي الله عنه ، وهو صاحب أشعار الملاحم.

وكان يقول: إنَّ الحسين رضي الله عنه ، قال لي: إنك تُقتل ، يقتلك ، عبيد الله بن زياد بالخازِر[2].

وقال ابن الحرّ: إن ابن أبي عقب كان يخبرني عن الحسين - رضي الله عنه - أشياء يكذبها عليه ، ويزعم أن ابن زياد يقتله. فأتاه عبيد الله بن الحرّ ليلاً مشتملاً على السيف ، فناداه فخرج إليه ، فقال: ابلُغ معي إلى حاجة لي. فخرج معه ابن أبي عقب ، فلما برز إلى السَّبَخَة[3] ضربه بالسيف حتى مات»[4].

= (ت ١٨٦ هـ) ، عم هارون الرشيد ، من أشهر كتبه «المحبّر» ، و«المنمّق» ، كان يروي كتب أبي عبيدة (ت٢١٠هـ)، وقُطرب (ت٢٠٦هـ)، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي الرافضي (ت٢٠٤ هـ) وغيرهم.

(١) قلت: لايُدرىٰ لعلَّ من تكذّب أمر ابن عقب، وزاد القَرابة مع الحسين رضي الله عنه إلى الرضاعة، هو الكذاب الذي جعل قيسٍ ليلى (ت٦٨هـ) أخاً لهما من الرضاعة أيضاً؟

(٢) في المطبوعة: (الجازر) وهي الخازر (مادة: خزر من لسان العرب) اسم موضع في نواحي الموصل.

(٣) علّق عبد السلام هارون: السبَخَة ، بالتحريك: موضع بالبصرة .

(٤) أسماء المغتالين (ضمن نوادر المخطوطات): ١٧٣/٢ ، ٢٦٩. وانظر: يوم وقعة الخازر في: تاريخ الطبري: ١٥٣/٦، والفتوح: ٢٩٩/٣، ٣٢٩، ٣٤٨، ٣٥٢، وقد ذكر ابن حبيب في كتابه: «ألقاب الشعراء» ومن يعرف منهم بأمه، شاعراً يقال له: «ابن عُقاب» اسمه جعفر بن عبد الله بن=

٢ ـ وذكره الجاحظ في(البيان والتبين)، في «باب النّوْكَىٰ» فذكر: ابن قَنان، وصبّاح الموسوس، وجُعَيفِران، وَجَرنْفَش، وأبوحيَّة النميري، وأبو ياسين الحاسب، ودغّة، وَشولة، ثمّ قال: «... وأما أبويس الحاسب، فإن عقله ذهب بسبب تفكره في مسألة، فلما جُنّ كان يهذي بأنه سيصير ملكاً، وقد أُلهم ما يحدُث في الدنيا من الملاحم!!

وكان أبو نواس [ت ١٩٨ هـ]، والرقّاشي [ت نحو ٢٠٠ هـ] يقولان على لسانه أشعاراً على مذاهب أشعار ابن عقب الليثيّ [(١)]، ويروّيانها أبا يس، فإذا حفظها لَم يَشُك أنه الذي قالها، فمن تلك الأشعار قول أبي نواس:

منع النومَ ادّكاري زمناً ذا تهاويل وأشياء نُكُرْ
واعتراك الروم في معمعة ليس فيها لجبان مقَرّ
كائناتٌ ليس عنها مذهب خطَّها يُوشَعُ في كُتْب الزُّبرْ
وعلامات ستأتي قبله جمّة أولها سَكْرُ النَّهَرْ
ويليهم رجلٌ من هاشم أقنصُ الناسِ جميعاً للحُمُرْ
يبتني في الصحن مِنْ مسجدهم للمُصلّين من الشمس سُتُرْ
ورجاءٌ يبتني مِطهرة ضخمةً في وسطها طَسْتُ صُفُرْ
فهناكم حين يفشوا أمركم وهناكُم ينزل الأمرُ النُّكُرْ
فاتْبعوه حيث ما سار بكم أيها الناس وإن طال السَّفَرْ
ودعوا بالله، أن تَهْزَوْا به لَعَنَ الرحمن مَن مِنه سَخِرْ [(٢)]

= قبيصة، وهو غير صاحب الملاحم. (نوادر المخطوطات: ٢/ ٣١٣).

(١) يفهم من عبارة الجاحظ وقوفه على العديد من القصائد المنسوبة إلى ابن عقب، ولا يُستنتج منها إثبات شخصه.

(٢) البيان والتبيين: ٢/ ٢٢٨.

٣ ـ ونقل الطبري قصصاً من روايات أبي مخنف الرافضي(ت ١٥٧ هـ) ، قال: «. . . وطلب المختار ، عبد الله بن عقبة الغنويّ ، فوجده قد هرب ، ولحق بالجزيرة ، فهدم داره ، وكان ذلك الغنوي قد قتل منهم غلاماً ، وقتل رجل آخر من بني أسد يقال له: حرملة بن كاهل رجلاً من آل الحسين ، ففيهما يقول ابن أبي عَقِب الليثيّ:

وعنـد غنـيّ قطـرةٌ مـن دمـائنـا وفـي أسـد أخـرى تُعَـدُّ وتـذكـرُ

وكرّر نقل البيت في موضع آخر، ويراد من هذا تأكيد ما ورد لدى الجاحظ من أنه ليثيّ[1].

٤ ـ وعلق ابن السّيد البَطَلْيَوسي (ت٥٢١ هـ) على هذا البيت بقوله: «إنما قال «في غَنيّ»، لأن عبد الله بن عقبة[2] الغَنوي، ثم أحد بني جلان بن غنم بن غنيّ،كان فيمن شهد قتل الحسين [رضي الله عنه] ولذلك أيضاً يقول: ابن عقبِ الليثي: وعند غني قطرة. . .»[3].

ويبدو أن البطليوسي وَهِمَ هنا ، وأظنه نقل ما سبق من «مقاتل الطالبيين» للأصفهاني ، الذي جاء برواية ـ من روايات أبي مخنف

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٤٤٨ ، ٤٦٨ ، ٦/ ٦٤.

(٢) في كتاب «القرط على الكامل»: «عقب» وهو خطأ ، فقد أخذت التاء المربوطة من صاحبها وأعطيت الأخرى ، وانظر «الطبري» عن هذا الغنوي: ٥/١٩٠ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٣٠٩ ، ٤٦٨ ، أما ضبطُ كلمة «عقب» فقد رأيت عبد السلام هارون ـ رحمه الله ـ ضبطها: عَقْب ، وعندي أن: عَقِب ، بكسر القاف كما ضبطها محقق «الطبري» أشبه بالصواب ، لأن له شبيهاً من حفاظ الحديث ، هذا ضبطه اسمه ، سيأتي ص: ٣٦.

(٣) القرط على الكامل: ٣١٩.

أيضاً ـ في قاتل: أبي بكر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فيها: «أن عبد الله بن عقبة الغَنَوِي قتله» ثم قال: «وإياه عنى سليمان بن قتّة ، بقوله:

وعند غني قطرة من دمائنا وفي أسد أخرىٰ تعدّ وتذكر»[1]

٥ ـ وقال أبو الفرج الأصفهاني: «أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار ، قال: حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ ، عن أبيه عن محمد بن الحكم عن عوانة قال: ثلاثةٌ لم يكونوا قطّ ، ولا عُرِفوا: ابن ابي العقب صاحبُ قصيدة الملاحم ، وابن القِرّيّة [ت٨٤ هـ] ، ومجنون بني عامر [ت٦٨ هـ]».

وقال: «أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: كان الوليد قد بايع لابنه الحكم وعثمان ، وهو أول من بايع لابن سريّة أمةٍ ، ولم يكونوا يفعلون ذلك ، وأخذهما يزيد الناقص ، فحبسهما ثم قتلهما ، وفيهما يقول ابن أبي عقب:

إذا قتل الخَلْف المديم لسُكره بقَفرٍ من البَخراء أسّس في الرملِ
وسيق بلا جرم إلى الحتف والردى بُنَيَّاهُ حتى يُذبحا مذبح السَّخْلِ
فويلٌ بني مروان ماذا أصابهم بأيدي بني العباس بالأسر والقتلِ[2]

٥ ـ وأورد النجاشي الشيعي [ت٤٥٠ هـ] ذكره في تصنيفه في «رجال الشيعة» ، وذلك نقلاً عن ابن شيخه: أحمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري ، فقال في ترجمة الإخباري الحسين بن محمد بن علي الأزدي الكوفي إن له كتباً منها: كتاب ابن أبي عقب وشعره ،

(١) مقاتل الطالبين: ٨٧.
(٢) الأغاني: المصدر السابق.

ثم ذكر سنده إليه[1].

ولعل باحثاً يُمَكّن من الوقوف على ما جمعه هذا الأزدي الكوفي، أعني الحسين بن محمد [لم أقف على ترجمة له ذات بال] في مصنّفه «أخبار ابن ابي عقب وشعره»، فيبسط القول فيه مزيد بسط، إلا يكن في عائدةٍ علميةٍ، ففي التَّنَدُّر بما يرويه أمثاله، وإنّ النُّبذ التي وقعت عليها لتكفي للحديث عن شخصية هي في المحصل تُراوح بين كونها معدومة لم تكن، ومجهولة لا تُعرف.

٦ ـ وقال ابن خلكان: «وذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني في ترجمة «مجنون ليلىٰ» بعد أن استوفىٰ أخباره فقال: وقد قيل إن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم، واشتهرت أسماؤهم، ولا حقيقة لهم، ولا وجود في الدنيا، وهم: مجنون ليلى، وابن القرّية ـ يعني المذكور ـ وابن أبي العقب الذي تنسب إليه الملاحم واسمه: يحيى بن عبد الله بن أبي العقب، والله أعلم»[2].

وقد تلحظ أن ألفاظ رواية الأصفهاني على غير ترتيب ما في «الوفيات» كما أن سرد اسمه مزيد فيه، ويُعلم أن قول: «واسمه...» من توضيح ابن خلكان مما يعنِي أنه لم ير خبر ابن حبيب، أما قوله: «الذي تُنسَب إليه الملاحم» وتتمِيمه الكلام بـ «والله أعلم» فإنه أشبه برأيه، وموقفه من هذه الشخصية وملاحمها.

٧ ـ وتَلمح رأي شيخ المؤرخين الذهبي، في ابن أبي عقب حين ترجم «لمجنون ليلى»، في تاريخه وفي «سير النبلاء» فقد قال هناك

(١) رجال النجاشي: ٢/ ١٨٤، ١٨٥.

(٢) وفيات الأعيان: المصدر السابق.

يُعرّض بمن أنكر وجود العشيقين ، ولا يُعلم مَن سبق عوانة بن الحكم إلى ذلك: «. . .وقد أنكر بعضهم ليلى والمجنون، وهذا دَفعٌ بالصدر، فما مَن لم يعلم حجة على مَن عنده علم ، ولا المُثبتُ كالنافي ، لكن إذا كان المُثبتُ لشيء شِبْه خرافة ، والنافي ليس غَرضُه دفعَ الحقّ ، فهنا النافي مُقَدّم ، وهنا تقع المكابرة وتُسكب العَبرة»!![1].

نعم ، ليس في الكلام تصريح كما ترى ، ولا يُدرى ما منعه من ذكره في موضع من كتبه[2] ، ولكنك تلمس رأيه في كتاب له لاحق ، أعني كتاب «المنتقى من منهاج السنة» لما اختصر كلام شيخه في «منهاج السنة النبوية» ثم صاغه بعبارة جَزْم لا يُرتاب أنها تحمل رأيه في الأمر ، والاحتمال القويُّ أنه سمع من أبي العباس رأيه القاطع في «ابن أبي عقب» في سياقٍ يُفهم منه تكذيبه وجوده على الأرض ، فضلاً عن كونه أدرك زمن النبوة ، فكانت هذه العبارة ، قال: «. . . . ثمّ لم تكن لفاطمة [رضي الله عنها] جاريةٌ اسمها فضة[3] وإنما هي

---

(١) تاريخ الإسلام: ص ٢١٤ ، وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٥.

(٢) وإن كان قد نادى بزجر الذين يروون الموضوعات والأباطيل والمستحيل في الأصول والفروع والملاحم والزهد. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٠١، ٦٠٢ ، وقد تكلم على الذين تكذبوا في سيرة (البطال): «ووضعوا له سيرة كبيرة ، كل وقت يزيد فيها من لا يستحي من الكذب». العبر: ١/ ١١٨.

(٣) «فضة النُّوبيّة» كابن أبي عقب من «شبه الخرافة» على الرأي المفهوم من كلام الذهبي. انظر خبرها في: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي ، ت ٤٢٧ هـ) ١٠/ ٩٨ ـ ١٠١ ، والقرطبي: ١٩/ ١٢٦ ، ١٣٠ ، وأسد الغابة: رقم (٧٢٠٢) ، والإصابة: (١١٦٢٧) وقال ابن حجر العسقلاني في إسناد خبرها: «... قال الذهبي: كأنه موضوع ، (قال ابن حجر) وليس ما قاله ببعيد» ، والخلاصة: ثبت أن علياً وفاطمة رضي الله عنهما =

بمنزلة ابن عقب ، أسماء موضوعة لمعدومين[(١)] ، ويمكنك أن تقارنها مع عبارة المؤلف في «المنهاج» التي سأذكرها من قريب.

٨ ـ وقد يُفهَم مِن نقل ابن عساكر [ت ٥٧١ هـ][(٢)] ، والصفدي[(٣)] ، وابن كثير[(٤)] ، وجود دار لابن أبي عقب في دمشقَ عند سوقٍ بها «طَرَفَ البُزوريين»[(٥)] أنه عاش في هذه المدينة ، لكن الأظهر أنها لرجل آخر أشبهه في الاسم ، أكبر الظن أنه محدث دمشق ، الإمام علي بن يعقوب بن أبي العَقِب [ت ٣٥٣ هـ] تلميذ الحافظ الإمام أبي زرعة الدمشقي [ت٢٨١ هـ][(٦)] فظُنّ بعد مضي السنين أنها لهذا الذي نُسبت إليه الملاحم ، وعجيب ما ورد في تاريخ ابن كثير من قوله: «. . عند دار ابن عقب صاحب الملحمة»[(٧)]. أيثبت وجوده؟ أم هي كلمة نقلها عن غيره؟ (الله أعلم)، والذي يبدو لي: أن ابن كثير ذهل عن الإشارة إلى بيان رأيه في هذه الشخصية، إذ كان المجتمع الدمشقي كله لا يخطر بباله إذا ذكر اسم «ابن أبي عقب» إلا صاحب الملحمة.

= سألا النبي عليه الصلاة والسلام خادماً، فعلَّمهما من الأدعية النبوية ، ولا يفهم أنه أعطاهما خادماً ، وإن فعل فليس هناك نقل يصح باسمها.

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال: ٤٦٩ .

(٢) تاريخ دمشق: ١٩/ ٨٣.

(٣) الوافي: ١٤/ ١٠١ .

(٤) ابن كثير: ٩/ ٥٨.

(٥) انظر: خطط دمشق: ٤٥١ .

(٦) سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٣٨.

(٧) ابن كثير: ٩/ ٥٨.

٩ـ أما رأي الصوفية، فيأتي دفاع القاضي محمد بن السراج الدمشقي، الرفاعي، خصم ابن تيمية الألدُّ، وصديق طفولته: ممثلاً عنهم، فقد قبلها ملحمةً من رجل حكيم مكاشف، مع إقراره أنَّ نَظْمها ركيك، وأن فيها خلفاً كثيراً، وغلطاً غالباً، ومع ذلك أبى إلا مخالفة شيخ الإسلام ابن تيمية، وإلا جعلها من محاور مضادته له، وكان مما قال: «.... وبالجملة منكر هذه الأشياء، وأمثالها متعسفٌ، جاهلٌ، مُتعنّتٌ»[١].

ويظهر أنه شهد إنكار شيخ الإسلام ابن تيمية حديث «دانيال» وكتابه الذي فيه الكلام على حوادث الوجود بزعمهم، فقال: «... وإن رأيت من المتفقهة من ينكر ما نذكره من جنس ذلك، فاعلم أنه جاهل قليل البضاعة، عديم البصيرة، حاسد على الفضيلة!!»[٢].

وكان قد عرض لها في كتابه «تشويق الأرواح» [الورقة ١٨٣] عند ذكره قرية في نواحي «مَنْبِج»، وما جرى فيها من الفتوح قديماً، وقال: «.... وكما قال الشيخ [الشيخ صوفي كان حديثه عنه] بلغنا من زمان طويل من الفضلاء، ولذلك أمثال سمعناها منهم، ويأخذها عنهم العامة، وتشتهر، وأصلها متنوع، منها ما أصله الأحاديث النبوية، ومنها ما أصله كلام الأولياء، أو كلام الحكماء إما في الملاحم المشهورة أو غيرها.

ومن المتفقهة مَن ينكر ذلك ويقول: «الملاحمُ هذيانٌ»[٣]، ويُعْظِم التشنيع بأن ذلك من المناهي، وهذا ليس بصالح، فلله تعالى

(١) تشويق الأرواح والقلوب إلى ذكر علام الغيوب: الورقة ١٨٣.
(٢) التشويق: ١٩٠.
(٣) لعل هذه الكلمة سمعها بلفظها من شيخ الإسلام.

أسرار وحكمة واسعة ، وفي علم الله تعالى، وما علم ما يحوج كل عاقل إلى سلوك الأدب ، ولزوم الحدّ.

ومن الذي يُنكر على العباد ما علمهم الله تعالى؟ وكيف ينكر أن الله خلق النجوم علامات ، وجعل في قوتها آيات بينات؟ والدلالات الإلهية ، والحكم الربانية ، لها أقوامٌ يعلمونها ، ولا يضرهم طغام يجهلونها ، ولقد رأيت جماعة من المتفقهة ينكرون بخلاف الأئمة الفضلاء ، والسادة النبلاء ، حتى إنهم يكثرون الكلام على الملاحم ، ويزعمون أنها من الباطل.

ولقد رأيتُ شخصاً كبيراً منهم يقول: «الواقعة الفلانية [يعني فتح عكة] مذكورة في ملحمة ابن عقب أو غيره ، وجرت كما ذَكَر ، لكني أعلم أنها كتبت فيها بعد وقوعها من فعل بعض الزنادقة أو المتعصبين للباطل ، ويجزم بذلك ، وينكر أن «ابن عقب» أو غيره يمكنه أن يتكلم على وقوع شيء قبل كونه ويقول: كيف يتهيأ له ذلك، وما يعلم الغيب إلا الله تعالى؟.

فلا زلتُ حتى وقعتُ على ملحمة كتبها بخطه في صِغَره وقد جرىٰ في بسيط عمره منها وقائع ، فقلتُ: أليس هذا خطك؟ وقد جرىٰ ذلك بعد كتابتِك ، فأبلس»[1].

وقد قلت في كتابي عن «النصيحة الذهبية لابن تيمية»[2]: «ما كان

---

(١) التشويق: الورقة نفسها.

(٢) ص ٦٥ ، واسمه: «أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي (النصيحة الذهبية لابن تيمية) وتحقيق في صاحبها». طبعت في بيروت ١٤٢٣ هـ.

شيخ الإسلام ممن تنقطع حجته أمام رجل قزم العقل كابن السراج، ولئن صدق في قوله هذا، فما يُظن بأبي العباس أن ينسخ هذا الضرب من الملاحم الخرافية حتى وهو صبي.

أكبر الظن أن ما أشار إليه ابن السراج، وعثر عليه بخط ابن تيمية بعض المبشرات التي رآها الصالحون، وقيّدوها في أوراق[1] فنسخها، ثم وافق بعض تلك المبشرات ما قدره الله تعالى كتلك التي أخبر بها شيخُ الإسلام السلطانَ الناصر في رسالة بعثها إليه جاء فيها: «وقد حدثنا أبي - رحمه الله - أنه كان عندهم كتاب عتيق وَقَفَ عليه مِنْ أكثر من خمسين سنة، قبل مجيء التتار إلى بغداد، وهو مكتوب من سنين كثيرة وفي آخره: «والتتار يَقْلَعُهُم المصريون». وقد رأىٰ المسلمون أنواعاً من المبشرات بنصر الله ورسوله، وهذا لا شك فيه إن شاء الله...»[2].

وقال ابن السراج في سياق كلامه الأول، وفيه ما يُفيدنا «معلومة» عن هذه الملاحم، وعقل مَنْ صدَّقَ بها: «ثم إنَّ ملاحم ابن عقب سبع ملاحم، ونُسَخها مختلفة، وفيها خُلف كثير، وغلط غالب، وكيف لا يكون على طول الزمان واختلاف النَّقَلَة؟ فالكتب الدينية مع اعتناء العالم بها يوجد فيها أشياء.

ولقد وقفنا على هذه الملاحم السبع في سنّ الصّبا، وقد عيّن فيها

(١) ابن رجب: ١/١١٨، وقف الحافظ ابن رجب على جملة مما كتبه أبو العباس - رحمة الله عليه - بخطه في عهد صباه وسماها «تعاليقه القديمة»، انظر: ٢/٢٥٣.

(٢) رسالة ابن تيمية إلى الملك الناصر: مخطوطة كوبرلي، الورقة ١٧٨.

رجوع العساكر يوم الأربعاء عام تسع وتسعين ، وصار ذلك بوادي «الخزندار» عام المحنة الغازانية سنة تسع وتسعين وستمئة.

وعيّن فيها سلامة الحصون العوالي (شمال سورية الآن) في تلك السنة إلى غير ذلك ، وهي وإن كان فيها متقدم ومتأخر ، فهو إن كان من النساخ والنقلة فلا كلام ، وإن كان من المصنف فلا حرج فيه بل تقتضي الحكمة ذلك! فإن كلام الرب عز وجل، وكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والحكماء والعلماء ـ رضي الله عنهم ـ لو فهمه كل أحد لضاعت الحكمة !! ثم إنَّ نظمها ركيك ، وذلك لا بأس به ، ويحتمل أن الناظمَ غير الحكيمِ ، وإنما نظمَ كلامه المنثور.

وبالجملة: منكر هذه الأشياء وأمثالها مُتَعَسِّف جاهل متعنّت، والله تعالى قد جعل في خلقه أنواعاً من الحكم منها ما اطلعنا عليه ، وكثير لم نطلع عليه ، وأسباب علم الغيب كثيرة وذلك بمشيئته وإرادته وإذنه ، وسنورد عن قريب شيئاً في الكلام على ذلك ونجيب عنه ما علم ، وإنما ذكرنا ذلك قبل وقته لئلا يعجل قليل البضاعة بالردّ علينا»[١].

فأنت ترى كيف يُلقي ابن السراجِ القول لا يفكر في السخفِ الذي يَعْتَوِرُه، وكيف لايفعل؟ وهو يعتقد أنَّ مِن كلامه ما هو فتوح وإلهامات، أليس هو عارفاً من عارفي الصوفية؟[٢] فما له لا يقول هنا هذا القول الفصل ، كما قاله في نظم فاسد لزعيم القلندرية الحريرية: علي الحريري [ت٦٤٥هـ] في موضع آخر من كتابه؟ وذاك حين أورد قوله:

(١) التشويق ، المصدر السابق ، الورقة نفسها.

(٢) دعاوى الكشف من أصول الصوفية. انظر: مقدمة ابن خلدون: ٢٣٢.

أنا ابن مدامة القس المكنى عُبَيْدٌ للمِلاح الشُّعث غبرا
وتعرفني الندامى من حني وينكر مخبري زيداً وعمرا
وحاش الفقر أن يدعي بخط لأن الفقر حرف ليس يُقرا

قال: «... ونحن نقول هذا معناه فصيح، وأنكر بعضهم نظمه، ويصح على تقادير، والمقصود تصحيح المعنى، وفي كونه وأمثاله ينظمون لذلك سِرٌّ رباني يعرفه أهله، ومنه أنه يُعلم به عدم اشتغالهم بالعلوم بوجه، وبعد ذلك قيل لكنه قليل، وهذا كلام فتح الله على العبد به ما رأيته لأحد ببركتهم!!

وإلا الذي فتح الله عليهم بأبواب الهدايات لا الهذيانات ـ على اعتقاد المنكرين ـ ومكّنهم من عظيم الكرامات، التي هي لنبيهم من المعجزات، أنه قادر على إصلاح ألسنتهم، وأن يجعلهم في كل علم رافعي ألويته، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [العنكبوت] وكفى والله سبحانه أعلم»[1].

١٠ ـ أما شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية، فيبدو أن مجلساً ضمَّه، وشيوخاً وقضاة لعل فيهم ابن السراج تُحدّثَ فيه عن الجَفْر[2]،

(١) تأمل كيف يروم رفعهم إلى مراتب الأنبياء؟ وقد فعلوا.
(٢) الجَفْر في لغة العرب: ولد الماعز، وسبب تسميته بذلك: فكرة من وضع زنديق، خرافية عابثة بأهل الأديان السماوية جميعاً ـ ولا أقول المسلمين فقط ـ وخلاصتها أن علي بن أبي طالب كتب علم كل ما كان وما سيكون على جلد الجفر، وأنه صار إلى جعفر الصادق بعده، وأن الغيب معلومهم!!. قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «... والكذابون كثيراً ما ينَفِقُون سلعهم البطّالة بنسبتها إلى علي وأهل بيته، كأصحاب القرعة =

وهذه الملاحم الخرافية، وذلك بعد سنة ٦٩٧ هـ. قلت هذا لأنها السنة التي عُيّن فيها ابن السراج قاضياً، بل إنّ في كلام أبي العباس الذي ذكر هذا المجلس في بعض تصانيفه ما يومىء إلى أنه قد كتبه بعد عَودِه من مصر سنة ٧١٢ هـ، فقد نقل عن ثقة حدَّثه بجهالةِ شيخ للكريم الأيكي «الوجودي» كان لا يُحسن قراءة القرآن، ثم أورد خبراً عن التلمساني (ت٦٩٠ هـ) ثم قال بآخره: «... فقد طال عهدي بالحكاية»[1] ومِثلُ شيخ الإسلام في عبقريته إذا قال هذا لا بُدّ أنّ سنين عدة مرَّتْ على هذه الحادثة حتى لا يذكر تفاصيلها.

وإذا تأمّلتَ في ذكرياته ـ رحمه الله تعالى ـ [وذكرياته علم أيضاً] عن هذا الحوار، مع ما يفهم من أسطر القاضي محمد بن السراج نفسه عنها، فقد يظهر لك أنه ـ وأعني ابن السراج ـ كان المقصود الأول ـ والله أعلم ـ مع مَن قُصِد بالإنكار عليهم في ذلك المجلس، قال: «... وكذلك عامة هذه الملاحم المروية بالنظم ونحوه، عامتها من الأكاذيب، وقد أحدث في زماننا من القضاء والمشايخ غير واحدة منها[2].

= والجفر، والبطاقة، والهفت والكيمياء، والملاحم وغيرها فلا يدري ما كذب على أهل البيت إلا الله سبحانه» مفتاح دار السعادة: ٣/ ٢٣٧.

(١) الفتاوى: ٤/ ٩٧، ١٠٣.

(٢) يفهم من كلام خصمه ابن جهبل (ت ٧٣٣ هـ) في رسالة ردَّ بها على عقيدة أهل السنة والجماعة في العلو الرحماني أنه من هذا الصنف الذين جادلهم إن لم يكن أحدهم قال ابن جهبل: «... ولقد كان السلف يستنبطون ما يقع من الحروب والغلبة (يعني الملاحم)، من الكتاب العزيز...، واستنبط بعض المتأخرين من سورة الروم، إشارة إلى حدوث ما كان بعد =

وقد قرّرت بعض هؤلاء على ذلك ، بعد أن ادعى قدمها ، وقلت له: بل أنت صنفتها ، ولبّستها على ملوك المسلمين لما كان المسلمون محاصرين عكة ، وكذلك غيره من القضاة ، وغيرهم لبسوا على هذا الملك»[1] [يعني السلطان خليل بن قلاوون].

وأوضح شيخ الإسلام رأيه في «ابن عقب» ـ وقد مرّ معناه في نقاشه مع ابن السراج ـ حين قال: «. . . ولكن فِضَّةُ هذه بمنزلة ابن عقب الذي يقال: إنه كان معلم الحسن والحسين[2] ، وإنه أُعطي تفاحةً[3] كان فيها علم الحوادث المستقبلة ، ونحو ذلك من الأكاذيب التي تَروج على الجهّال.

وقد أجمع أهل العلم على أنهما لم يكن لهما معلم ، ولم يكن في الصحابة أحد يقال له ابن عقب ، وهذه الملاحم المنظومة المنسوبة إلى ابن عقب هي من نظم بعض متأخري الجهال الرافضة ، الذين كانوا زمن نور الدين [ت٥٦٩هـ]، وصلاح الدين [ت ٥٨٩ هـ] ، لما

= سنة ثلاث وسبعين وستمئة. . .» ، انظر طبقات السبكي: ٩/٨٨.

(١) الفتاوى: ٤/٧٩ ، ٨٠.

(٢) يفهم أن الحاج خليفة قد وقف على نسخة من الملحمة فيها زعم كونه معلماً للسبطين ، فقد قال في (الكشف) كأنها مسألة صحيحة لديه (ما ذلك ببعيد عنه فقد كان صوفي الهوى): «. . . وهو يحيى بن عقب ، معلم الحسن والحسين رضي الله عنهما» الكشف: ٢/١٨١٨.

(٣) للتفاحة في أخيلة الوضاعين مكان مكين ، لا جرم أنهم عاشوا في بيئة تفاحها لذيذ مشهور كبلاد الشام ، انظر أمثال هذه «التفاحة» في: نزهة المجالس: ٥١١، ٥٢١، ورحلة ابن بطوطة: ٩٧، و«الفتاوى»: ١٨/٣٦٦ ، ٢/٢٤٢.

كان كثير من الشام بأيدي النصارى ، ومصر بأيدي القرامطة الملاحدة بقايا بني عبيد، فذكر مِنَ الملاحم ما يناسب تلك الأمور بنظم جاهل عامي»[1] .

وقال في موضع آخر: «... ومثل ما يذكره بعض العامة من ملاحم ابن عقب ، ويزعمون أنه كان معلماً للحسن والحسين ، وهذا شيء لم يكن في الوجود باتفاق أهل العلم ، وملاحم ابن عقب ، إنما صنفها بعض الجهال في دولة نور الدين ونحوها ، وهو شعر فاسد يدل على أن ناظمه جاهل»[2] .

وإذا تأملتَ قول أبي العباس ابن تيمية، وبخاصة هذا الحرف منه: «بعد أن ادعى قدمها» ، ثم قرأتَ إصرار ابن السراج على قدمها في كتابه «التفاح» ، وذلك قوله: «... نطق بها بعض الحكماء في ملحمة مشهورة قديمة ، وإن كان فيها ركاكة ، ولنا فيها كلام في كتاب التشويق ، فقال:

وعكا سوف يعلوها أناس ... كما يعلو الغمام على الجبال

ويلطخ سورها بدماء قوم ... أتوها هاربين من القتال

(١) منهاج السنة: ٧/ ١٧٢ ، ١٨٣ .

(٢) الفتاوى: ٤/ ٧٩ ، قلت: ضبط شيخ الإسلام ابن تيمية زمانين لهذا الوَضْع والنحل ، أحدهما ـ ولا أشك أن له تحقيقاً تاريخياً فيه ـ كان في عهد الدولة الزنكية ـ قبله بمئة سنة تقريباً ـ والآخر في عهده، وكان رحمه الله من أعرف الناس بالتاريخ ، ومن قوله يُعتمد في الجرح والتعديل ، انظر: المعين في طبقات المحدثين: ٢٧٨ ، والمقفى الكبير: ١/ ٤٥٥ ، والجامع لسيرة شيخ الإسلام: ٣١٨ .

وكان كما قال...»[1] ، رأيتَ حديثَ رجلينَ يقصدُ كلٌّ منهما الآخر دون أن يصرح أحدهما باسم محاوِرِه.

بقي أن نذكر هنا أن ابن السراج لم يصرح بمشاركته في حصار عكة ، وإن كان قد يستشفّ من كلامه في مكان آخر حضوره لها ، وذلك قوله يحكي حادثة وقعت قرب حصن «كيفا»[2] : «... وغُنيم وولده حينوس [أو حيبوس] نعرفهما ، وجرى ذلك في سنة تسعين وستمئة ، سنة فتح الملك الأشرف صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ عكا والسواحل...»[3].

وقد ذكر المؤرخون (الدماشقة) كثرة أصناف من حضرها من العامة والعلماء ، أما أبو العباس ابن تيمية ، فقد أكدت رواية تلميذه البزَّار ما كان يظهر للمتأمل من حضوره لها في سياق كلامه السابق ، رحمه الله تعالى.

* * *

---

(١) التفاح: المنقول ٢٨٩.
(٢) مدينة على دجلة من ديار بكر بين «جزيرة ابن عمر» و«مبافارقين» ، والنسبة إليها: حصكفي. انظر: تقويم البلدان: ٢٨١.
(٣) التفاح: المنقول ٢٢٤.

الرأي في ابن أبي عقب وملاحمه

كتاب «أسماء المغتالين» لمحمد بن حبيب ، أقدم مصدر جاء على ذكرهما ، وقد يُفهم أن الخطيب البغدادي [ت ٤٦٣ هـ] على توثيق صاحب هذا المصدر حين قال: «. . . . وكان عالماً بالنسب وأخبار العرب ، موثقاً في روايته»،وكذا الإمام الذهبي من متابعته له في ذلك عندما قال: «إخباري صدوق ، واسع الرواية» ، اعتماداً ـ فيما يبدو ـ على توثيق ثعلب [ت٢٩١هـ] إياه، إلا أنَّ في سند الخطيب إلى الإمام ثعلب: ابن مِقْسَم المقريء العطار [ت ٣٥٤ هـ]. وفيه مقال يُخلص منه إلى التوقف عن توثيقه[١]. فإذا ضَمَمْتَ إلى ذلك ، اتهام إخباري له ـ وإن كان معتزلياً ـ أعني المرزباني [ت ٣٨٤ هـ][٢] بالإغارة على كتب العلماء بعد إسقاط أسمائهم ، وادعائها لنفسه وشهادة الذهبي في موضع آخر بأنَّ: «. . . عامة ما قاله ابن حبيب [منقول] من الطبقات لابن سعد»[٣] قوَّى ذلك الحكم بردّ خبر ابن حبيب[٤].

---

(١) تأريخ بغداد: ٦/١١٣ ، من أفظع ما قيل في ابن مقسم: إنه يجيز كل قراءة وافقت المصحف ، ووجهاً في العربية وإن لم يكن لها سند.

(٢) لسان الميزان: ٥/ ٣٢٤.

(٣) تجريد أسماء الصحابة: ٢/ ٢٤٩.

(٤) الفهرست: ١٧١ ، وتاريخ بغداد: ٣/ ٨٧ ، ومعجم البلدان: ٦/ ٢٤٨٠ ، تاريخ الإسلام: وفيات السنة ، ص ٤٢٣ ، والوافي: ٢/ ٢٤١ ، وبغية =

ولا يُستبعد أن يكون ابن حبيب قد وقف على خبر ابن أبي عقب في بعض كتب (ابن الكلبي) أو غيره فوضعه في «تاموره»[1] ، ثم نقل عنه وهو يؤلف «أسماء المغتالين» ، والأقرب في الاحتمال أن تكون مصنوعة من قبل هشام بن محمد الكلبي ، أو أبيه المتهم بالسّبئيّة ، فإن عليها من صبغتهم دعوى علم الغيب في علي وأبنائه ـ رضي الله عليهم ـ حتى كان الجاحظ يقول عن رافضة دهره: «. . . ومع ذا يزعمون أن الله قد أسرّ إليه علم كل ما يحدث في هذه الأمة من الفتن والهيج . . .»[2] ، وكذلك البيانية ، أتباع بيان بن سمعان [ت١١٩ هـ] كان مما زعموه أنه أخبر بالملاحم[3] ألا ترى ذلك في رواية ابن حبيب: «فيخبر بما خبّره عن علي رضي الله عنه» ثم زعمه إخبار الحسين أن ابن زياد يقتل ابن أبي عقب بالخازر ، ومَن كان يدري أن معركة تكون فيه؟ أَخْلِقْ بها قصة خرجت مع أكذوبة «الجفر» من مصدر واحد.

ومِنْ عَجَبٍ لم أَقْضِه جِلْدُ جَفْرِهم بَرِئتُ إلى الرحمن ممَّن تَجفَّرا

= الوعاة: ١/ ٧٣ ، ومقدمة: أسماء المغتالين: ٢/ ١٠٣.

(١) التامور: الحقة أو الوعاء ، واستخدمتها لورودها في كلام المرزباني في ابن حبيب.

(٢) العثمانية: ٢٤٣ ، وتأويل مختلف الحديث: ٧٠ ، ٧١ ، قلت: إنما اشتد قبح قول الرافضة حين نسبوا تلقيه العلم من الله تعالى ، ولو التزموا بالذي صح في النقل أنه أخبر من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام بحوادث تجري في المستقبل من اقتتاله وبعض الصحابة ، وأمثال هذا مما هو محدود معلوم . . .

(٣) الملل والنحل: ١/ ١٥٢.

ونسأل مَن صدَّق بهما: أين كان رضيع الحسين يوم الطَّف؟[1] بل أين والده: بشار بن أبي عقب في الصحابة؟ والذي يعلمه المؤرخون الكبار أن اسم: «بشار نادر في التابعين، معدوم في الصحابة»[2].

وقد يفهم ـ على افتراض صحة الخبر ـ أن عبيد الله بن الحرّ قتل جليسه «ابن أبي عقب» لما كثرت أكاذيبه على الحسين، وأبيه رضي الله عنهما، فوصفه بالكذاب سائغ، وأخلق بمن كان كذلك أن يكون سبئياً تسرَّب إلى شيعة آل البيت في العراق، ويُفهم أن الوضّاع الذي افترى ـ بعد دهر ـ كون ابن أبي عقب معلماً لسبطي رسول الله ﷺ، وأنه أوتي علم الحوادث المستقبلة حين أكل «تفاحة» أعطيها، كان يجهل هذه الرواية عند ابن حبيب التي تزعمه رضيعاً للحسين، فهل يعقل أن يكون معلمهما صبياً؟ ألم يجد أبو الحسن علي، أمير المؤمنين معلماً لولديه بين أصحابه من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، حتى يختار هذا النكرة معلماً لسيّدَي شباب أهل الجنة؟... إلخ.

الاحتمال القوي (كما قلت ذلك آنفاً) أن ابن حبيب فعل فعلة الإخباريين ـ وهو منهم ـ الذين كانوا يدخلون سوق الوراقين [المكتبات في عهدهم] فيشترون منها كتب إخباريين من أمثالهم ويحملونها إلى بيوتهم، ثم ينسخونها في تصانيف تحمل أسماءهم، مقلدين أهل الاختصاص من المحدثين في أسلوبهم، لأنهم أوثق الناس بنقل الخبر.

---

(١) الطفّ: كربلاء، موضع قرب الكوفة.

(٢) المشتبه: ٧٨.

أما رواية الطبري ، فإن القول في ردِّها جَليٌّ لأنَّ آفتها الأولى: أبو مخنف لوط بن يحيى الكوفي ، وهو كما وُصف في المصادر:

إخباريٌّ تالف ، هالكٌ ، وليس بشيء ، جعله الذهبي من بابة عوانة بن الحكم[1] ، وأين هو من عوانة ؟!

وإنَّ خبراً مُؤدَّاه التنقّص من الشيعة (إذ فيه إثبات كذب رواتهم) ، يرويه شيعي ، يأتي بأعاجيب كأبي الفرج الأصفهاني[2] ، عن عثماني من أهل الكوفة كان يضع الأخبار لبني أمية[3]، أعني: عوانة بن الحكم، لموضع تأمل .

فإن للمرء أن يقول : إن واضع هذه المقولة على عوانة ، إنما أراد أن يُثْبِتَ شخصية ابن أبي عقب بجعل خصمٍ للشيعة أول نُفاتها، ثم لم يكتفِ الوضّاع بذلك حتى ضمّ إلى ابن أبي عقب شخصيتين حقيقيتين ليدفع القارىء إلى القول : هذا متحامل ، ينفي أناساً لم يشكّ أحد في وجودهم ، وأَخْلِق بها دسيسة من دسائس أبي الفَرَج[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٧٨/٥ ، وعدّ الإمام العجلي عوانة في ثقاته. انظر تاريخ الثقات: ٣٧٧.

(٢) ميزان الاعتدال: ١٢٣/٣.

(٣) تاريخ الإسلام: وفيات ١٥٨هـ، ولسان الميزان: ٤/ ٤٥٠ ،قلت: «والعثمانية» على ما يفهم من كلام الجاحظ عليهم ـ لأنه أقدم مصدر في الموضوع ـ حزب كان من أهل السنة، وكانوا من أشد معارضي الرافضة، وانظر المزيد في كتاب «العثمانية»: ٣ ، ١٩ ، ٢١ ، ١٧٦ ، ... ، ٢٠٦ ، والكتاب يستحق الدراسة والنشر ، نعم، يحذر من اعتزاليات مؤلفه الجاحظ.

(٤) وإن وردت روايات في الأغاني فيها أن المجنون، مجنون بني عامر لم يعرفه جماعة منهم حين سئلوا عنه، وأن أكثر هذا الشعر المنسوب إليه =

والتأمل في الشعر المنقول سابقاً يؤكد أن قائله من خصوم بني أمية ، وربما كان من دعاة العباسيين الذين كانوا يَتكهَّنون لهم نصراً قريباً ، يرجمون في ذلك بالغيب شِعْراً ، وأنه اتخذ اسم «ابن أبي عقب» تقية ، وجُعل له مع أئمة آل البيت قصة ، وفي الأمر غموض لِقلَّة المصادر والتفصيل ، وما أحسبها صدفة جَعْل عوانة مَنْ أنكر وجوده، لأنَّ كونه عثمانياً من أهل الكوفة يُحمِّل الرأي المنسوب إليه تهمة ضدٍّ في ضدِّه فيسقط كلام من طعن عليه بعد .

وفي الذي ذكره اليعقوبي [ت بعد ٢٩٢ هـ] في تاريخه من حوادث سنة ١٢١ هـ. عند ذكر قتل زيد بن علي ـ الذي تنسب إليه الزيدية ـ لموضع تأمل أيضاً ، قال: « . . . وتحركت الشيعة بخراسان ، وظهر أمرهم وكثر من يأتيهم ، ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية ، وما نالوا من آل رسول الله ﷺ حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر، وظهرت الدعاة ورُئيت المنامات، وتدورست كتب الملاحم»[1]، فهذا الوقت أنسب الأوقات لتأليف ملاحم ابن عقب .

وكانت هذه الأبيات المنسوبة إليه معروفة في زمن ابن حبيب ، الذي أحسب أن عبارة: «وهو صاحب أشعار الملاحم» عبارته ، وكذلك عبارة الأصفهاني ، فلا يبعد أن قوله: «صاحب قصيدة الملاحم» من كلامه .

ويلحظ أن في إسناد رواية الأصفهاني الثانية ما زادها ضعفاً ، فإسحاق هذا الذي روى عنه ابن شَبّة إما أن يكون إسحاق بن إدريس

= مولد عليه، فإن مجموع ما صحّ من خبره يدفع التشكيك بحقيقته.

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣٢٦/٢.

الأسواري البصري ، وإما أن يكون آخر ـ غير منسوب ـ وكلاهما متهم بالكذب[1] .

ويقال هنا كذلك: إن صناعة الشعر المنسوب إلى ابن أبي عقب في أول الأمر ، والمنحول له في الأزمنة المتأخرة ظاهر الفرق ، فالأول كان على لسان كذاب يحسن قول الشعر ومحاكاته ـ اذكر تلقين أبي نواس ملحمته ـ والأبيات القليلة التي رويت لنا تشهد بذلك عند مقارنتها بالأبيات اللامية التي نقل لنا صاحب «كشف الظنون» مطلعها ، وهو قوله:

رأيتُ مِنَ الأمور عجيبَ حال لأسباب يُسطرها مقالي[2]

وقد وقفتُ أنا على ما أظنه آخر أبياتها ، في مخطوطة جمع فيها الناسخ خرافاتٍ من هذا الجَفْر ، وهذه الأوفاق التي يُعنى بها ضربٌ من الصوفية[3] ، وهي:

ويملك مصر جبارٌ عنيدٌ كفورٌ بالشريعة لا يُبالي
يُبيح المنكرات لفاعليها ولم يحتج إلى فعل الحلالِ
ويقضي كل دين متين رفيع القدر محمود الخصالِ
ويدني كل أفاك أثيم وضيع القدر مذموم الفعالِ
ويسفك الدماء على نقير ويسقي الخلق كاسات النكالِ
فيظهر عند ذلك مغربي وسيم الوجه مفتول السبال
من أقصىٰ الغرب في جيش عظيم يحض المؤمنين على القتالِ

(١) الميزان: ١/ ١٨٤.
(٢) كشف الظنون: المصدر السابق.
(٣) انظر عنهم وعن الأوفاق ، والجفر ، والسيمياء. . . إلخ «المقدمة»: ٣٨٢ ـ ٤١٥.

فيقتلـــه وعسكـــره ويسبـــي ذراريهـم كمـا تُسبى المــوالـي
وتفنـى دولـة الأتـراك جمعـاً بشـــوَّالٍ وتنصــرمُ الليـــالـــي

أترىٰ أن ابن حبيب والأصفهاني ـ مثلاً ـ يسكتان على الضعف والفسولة والبرودة التي مرت بك؟ماظننتُ شداة الأدب يسكتونُ عنها، فكيف بأئمة هذا الشأن، نقاد النثر، صيارفة القريض؟لا جرم أن واضعها الأول كان شاعراً ثمّ زاد فيها كل شعرور ما زاد، وهم من جهة الذوق الأدبي فقراء مُدْقعون بل قليلوا الحياء، هلا استكتبوا شاعراً مجيداً!! ولا أدري أقلة حيائهم أشد من قلة عقولهم أم تساويا؟

وهذه أبيات (يائية) جاءتْ في نسخةٍ غير الأولىٰ مطلعها:

حــيِّ ربعـاً بـالـرقمتيـن خليًّـا بيـن ذات الصفـا وبـرقـة ريًّـا
مقفـر مـن أصـاحـب ونـاس لـم يـر شبههـم تحـت الجليـا
داره الوحش بعد هند فأضحىٰ مـرتـع الـوحـش بكـرة وعشيـا
حيـن تبـدو عجـائـب منكـرات فتـرى منـه مـا يشيـب الصبيـا[1]

وإليك المزيد منها الذي لا يستمرئه إلا العامة وأشباههم:

ويلُ أرض الخليل مما تلاقي مـن أمـورٍ نُكـرٍ قِبـاحٍ فـريًّـا
ثـم ويـل لِمَـرْجِ عكّـا وعكّـا يـوم يُطلـى جـدارهـا بـالـدميـا[2]

حتى قال:

ثم من بعدهم يرجع الملك من بني أمية وبني أيوب إلى التركيا
وهـم أربعـة وعشـرون ملكـاً يتبعـوا بعضهـم وهـم خـارجيـا
أولهـم أيبـك التـركمـانـي ومـن بعـده ولـده عليـا

(١) ملحمة ابن عقب: معهد المخطوطات، الورقة ٧١، ٧٢.
(٢) قارن هذا البيت والبيت الذي أورده ابن السراج ص: ٤٤.

ثم من بعد الغضنفر في الملك يتبعه بيبرس الظاهريا
ثم من بعده ولده ولا يقيم في الملك سوى عامين بالسويا
ثم من بعده سلامش وليس له في الملك شيئا
ثم من بعده الجؤن قلاوون وولده خليل الملك الأشرفيا

قال أبو الفضل: ومُلفِّق هذه الأحرف الهجائية ـ لا أقول ناظمها ـ معاصر لشيخ الإسلام ابن تيمية، يَضِح ذلك من مثل قوله:

من سنين ثمان من بعد تسعين يكون البدو قولاً جليا[1]

وقد كرّر هذا التاريخ وهو يعني السنة التي زحف فيها غازان [ت ٧٠٣ هـ] بجيوشه إلى الشام أعني سنة ٦٩٨ هـ، ثم فضح الناظم نفسه إذا سمّى «المنصور قلاوون»، وابنه «الأشرف خليل»، بين الذين سيلون الأمر، وسكتَ عن البقية إلا أسماء مألوفة، ربما كان من المماليك من يحملها ولكنها مغمورة في ذلك العصر، نثرها ـ إمعاناً في الخديعة ـ هكذا وهكذا، يبدي بذلك حذره من بطش السلطان المملوكي، فلم يصرح بأسماء موجودين يُعرفون بأعيانهم.

وهذه بعض أبيات من رائيته:

وإن طلع النجم بعد الغروب ولاح له ذَنَبٌ ذو شرر[2]
سيأتي من الشرق ترك شداد وجبريل يقدمهم في الأثر[3]

---

(١) ملحمة ابن عقب: دار الكتب رقم ٢٢٠٢، والورقة ٢ وقد تلحظ فساد الوزن العروضي.

(٢) هذا المُذنَّب (هالي) كما سبق ذكره.

(٣) قوله: الترك الشداد. يعني: المغول، وأما جبريل ـ وحاشا الله ـ الذي يزعم أنه يقدمهم في الأثر: فإن لبعض الصوفية اعتقاد عجيب، وهو أنَّ جبريل عليه السلام، ورسول الله ﷺ كانا في مقدمة جيش (جنكيز خان) يدلانه =

يقيـــم علـــى نيلهـــا أربعيـــن وينهـزمـوا مـن مغيـب القمـر[1]

وقد نقل ياقوت في «معجم البلدان» عند حديثه عن موضع يقال له: «الزيتونة» بيتاً يبدو أنه من منظومة نونية من هذه الملاحم السبع فقال: «وفيها يقول الأعقب في الملاحم:

عند حلول الجيش بالزيتونة ثَمّ تكون الوقعة المعلونة»[2]

* * *

= على الطريق !! انظر تذكرة دولتشاه: ٢/ ١٩١ .

(١) ملحمة ابن عقب: مخطوطة دار الكتب المصرية ، الورقة (٣) ، وناسخها حسين رشيد ، نسخه لدار الكتب سنة ١٣٥٥ هـ من نسخة قال إنها وردت إلى الدار من المكتبة الفاروقية بسوهاج (رقم ٧٧) ، وعلمت بوساطة الإنترنت أنها هناك (غُيّر اسم المكتبة من الفاروقية إلى رفاعة الطهطاوي) برقم ١٩/ تاريخ ، وأنها نسخة خطية قديمة.

(٢) معجم البلدان: ٣/ ١٦٣ .

صفوة القول

إنَّ « عبد الله بن بشار بن أبي عقب» رجل لم يثبت في التاريخ ، [ليس له وجود في الخارج !!] لعدم صحة الروايات التي وقفت عليها ، ولكن يمكن تعيين العصر الذي اختلق اسمه فيه بأوائل القرن الثاني الهجري ، لورود اسمه في كتب أمثال: محمد بن حبيب ، والجاحظ ، والطبري ، وأبي الفرج الأصفهاني ، مع نسبة ملاحم إليه ، وكان الواقع فيما نُحِله ، باديء ذي بدء ، قصائد شيعية سياسية ، غرضها التحدث برؤى الشيعة لمستقبلهم أيام بني العباس، ثم جَعَلَها ـ بعدُ ـ أهل الأغراض السياسية والدينية المنحرفة، وحثالة المجتمع ، تُكَأَةً لهم ، ومنطلقاً لبَثّ مآربهم في العامة وأشباهها بما تقوّلوه على «ابن أبي عقب» من فاسد النظم ، المضمّن رديء المعتقد.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ أخبار أبي تمام، للصولي . بيروت

٢ ـ أسد الغابة، لابن الأثير . بيروت

٣ ـ أشراط الساعة، ليوسف الوابل. الدمام

٤ ـ الأعلام، للزركلي. بيروت

٥ ـ الإعلام بمناقب الإسلام، للعامري. الرياض

٦ ـ أعيان العصر، للصفدي . دمشق

٧ ـ الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني . القاهرة

٨ ـ الإلمام بالإعلام فيما جرى من الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، للنويري. الهند

٩ ـ البداية والنهاية، لابن كثير. بيروت

١٠ ـ البدر الطالع، للشوكاني . بيروت

١١ ـ البستان الجامع، المنسوب لعماد الدين الأصفهاني. بيروت

١٢ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي. بيروت

١٣ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم . بيروت

١٤ ـ بغية الوعاة، للسيوطي . القاهرة

١٥ـ البيان والتبيين، للجاحظ . القاهرة
١٦ـ تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان . القاهرة
١٧ـ تاريخ الإسلام، للذهبي . بيروت
١٨ـ تاريخ الثقات، للعجلي . بيروت
١٩ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي . بيروت
٢٠ـ تاريخ دمشق، لابن عساكر . بيروت
٢١ـ تاريخ الطبري، للطبري . القاهرة
٢٢ـ تاريخ ابن قاضي . دمشق
٢٣ـ تاريخ ابن الوردي . بيروت
٢٤ـ تجريد أسماء الصحابة، للذهبي. بيروت
٢٥ـ ترجمة ابن تيمية لابن عبد الهادي . مخطوطة كوبرلي
٢٦ـ التذكرة، للصفدي . أجزاء منه
٢٧ـ التسعينية، لابن تيمية . الرياض
٢٨ـ تشويق الأرواح، لمحمد بن السراج الدمشقي ،مخطوطة. إصطنبول ، عمجه زاده حسين رقم ٢٧٢.
٢٩ـ تفاح الأرواح، لمحمد بن السراج الدمشقي،ثلاث نسخ خطية: القدس ، وبرنستون ، وبرلين.
٣٠ـ تفسير الطبري، للطبري. التركي . القاهرة
٣١ـ تهذيب سيرة ابن هشام، لعبد السلام هارون . بيروت
٣٢ـ تقريب التهذيب . بيروت
٣٣ـ جامع الدول، لمنجم باش المولوي. إصطنبول
٣٤ـ جامع سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية،لعزير شمس وعلي العمران مكة المكرمة

٣٥ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي. الرياض
٣٦ ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزبير بن بكار. القاهرة
٣٧ ـ خطط دمشق، لأكرم العلي . دمشق
٣٨ ـ خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، لابن زيني دخلان. مصر
٣٩ ـ الدرر الكامنة ، لابن حجر العسقلاني. بيروت
٤٠ ـ ديوان ابن الوردي . الكويت
٤١ ـ الذخائر الشرقية، لكوركيس عواد. بيروت
٤٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب. بيروت
٤٣ ـ ذيل مرآة الزمان ، اليونيني . القاهرة
٤٤ ـ رجال النجاشي، لابن النجاشي. بيروت
٤٥ ـ الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، للسيوطي. بيروت
٤٦ ـ زاد المعاد، لابن قيم الجوزية. بيروت
٤٧ ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، لأبي عبيد البكري. بيروت
٤٨ ـ السنة، لأبو بكر الخلال . الرياض
٤٩ ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي. بيروت
٥٠ ـ سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي. بيروت
٥١ ـ شرح الشجرة العثمانية من الدولة العثمانية ، المنسوب للصفدي خطأ. مخطوط (عدة نسخ) .
٥٢ ـ العثمانية، للجاحظ. القاهرة
٥٣ ـ العرب (مجلة) ، العدد ٥ ـ ٦ عام ١٤١٥هـ
٥٤ ـ الفتن، لنعيم بن حماد. القاهرة
٥٥ ـ الفهرست، لابن النديم . بيروت
٥٦ ـ في الأدب المقارن، محمد عبد السلام كفافي . بيروت

٥٧ ـ فتوح الشام، لمنسوب للواقدي . بيروت
٥٨ ـ فيض القدير شرح، للمناوي . بيروت
٥٩ ـ الجامع الصغير ، السيوطي .
٦٠ ـ القرط على الكامل، الوقَّشي ، والبطليوسي . باكستان
٦١ ـ القصة في الأدب الفارسي، أمين عبد المجيد بدوي . القاهرة
٦٢ ـ ابن قيم الجوزية، لبكر أبو زيد . الرياض
٦٣ ـ الكافية الشافية، لابن القيم . الرياض
٦٤ ـ الكشف والبيان، [تفسير الثعلبي]. بيروت
٦٥ ـ كشف الظنون، للحاج خليفة . بيروت
٦٦ ـ لسان اللسان ، المكتب الثقافي . بيروت
٦٧ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية ، طبعة ابن قاسم . السعودية
٦٨ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري . الإمارات
٦٩ ـ المشتبه في الرجال، للذهبي . القاهرة
٧٠ ـ مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي . بيروت
٧١ ـ المعجم الأدبي، لجبور . بيروت
٧٢ ـ معجم الأدباء، لياقوت الحموي. بيروت
٧٣ ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي . بيروت
٧٤ ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية. القاهرة
٧٥ ـ مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية . بيروت
٧٦ ـ مقاتل الطالبين، للأصفهاني. القاهرة
٧٧ ـ المقدمة، لابن خلدون . بيروت
٧٨ ـ المقفى الكبير ، للمقريزي . بيروت
٧٩ ـ ملحمة ابن عقب ، مخطوطتين بالقاهرة

٨٠ـ ملحمة دانيال ، (مخطوط , يوسف آغا) قونية
٨١ـ المنتقى من منهاج الاعتدال، للذهبي. السعودية
٨٢ـ المنجد في اللغة والأعلام . بيروت
٨٣ـ منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية. الرياض
٨٤ـ منتخب التواريخ لدمشق، للحصني . بيروت
٨٥ـ ميزان الاعتدال، للذهبي . بيروت
٨٦ـ نزهة الخواطر ، لعبد الحي الحسيني . الهند
٨٧ـ نوادر الخطوطات، تحقيق: عبد السلام هارون . القاهرة
٨٨ـ الوافي بالوفيات ، للصفدي . بيروت
٨٩ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان . بيروت

* * *

المحتويات

الصفحة